ثقافتي الأدبيّة

محمد الهاشمي الطرابلسي

الفنّ والدلالة في رسالة الغفران

مطابق للبرامج الجديدة

شمس للنشر

② ـ الأسباب المسكوت عنها : وراء هذين السّببين المُعلنين دوافع أخرى سكت عنها ابن القارح أهمّها :

☆ أنّنا في عصر شاعت فيه ظاهرة التّرسّل لسبب حقيقيّ كالتّهنئة أو التّعزية أو العتاب أو الدّعوة، إلى غير ذلك ... أو لدوافع مفتعلة، مختلقة ،كأن يروم الكاتب إظهار براعته وعرض بضاعته في اللّغة والأدب والفقه والأخبار وغيرها، ورسالة ابن القارح لئن أخذت في ظاهرها شكل الرّسائل الاخوانيّة فإنّ صاحبها لم يهتمّ فيها بما يصل بين الأصدقاء بقدر ما عني بسرد ما حفظ من الأخبار والأشعار وبإظهار قدرته على التّأنّق في الكتابة .

☆ يقال إنّ ابن القارح في رسالته تلك رمى إلى استفزاز أبي العلاء بالتّهجّم على بعض المحبّبين إلى نفسه مثل صديقه **أبي** الفرج الزّهرجيّ الذي طعن ابن القارح في تديّنه وقد عدّ كتبه « **يهوديّة برئت من الشّريعة الحنيفيّة**» وأبي الطّيّب المتنبّي،وقد عدّه ابن القارح من «**الزّنادقة عبدة النّجوم**» بل وجدنا ابن القارح يطعن ـ تلميحا ـ في تديّن أبي **العلاء** نفسه ويعدّه من« **الزّنادقة والملحدين الذين يرومون إدخال الشّبه والشّكوك على المسلمين،ويستعذبون القدح في نبوّة النّبيّين صلوات اللّه عليهم أجمعين** » **ولعلّه** بذلك يلمّح إلى حيرة أبي العلاء في اللّزوميّات وتشكيكه في الأديان والأنبياء .

☆يقال إنّ ابن القارح **الشّويعر والأديب** المغمور،سعيا منه إلى الشّهرة وربّما الخلود ،أراد أن يقرن اسمه **باسم أبي العلاء** .

لهذه الأسباب مجتمعة **البادية والخافية**،كتب ابن القارح إلى أبي العلاء رسالة طويلة ثريّة .

محتوى الرّسالة : لن نحرص على استقراء المواضيع أو القضايا التي طرحها ابن القارح في رسالته **بقدر ما سنحاول** استجلاء ملامح شخصيّته التي ستظلّ ـ دون ريب ـ شاخصة في ذهن أبي **العلاء** ، **ماثلة** في خاطره وهو يملي رسالة الغفران .

أ) الوجه الأول: ابن القارح المتودّد المتزلّف: يبدو غريبا أن يطيل ابن القارح في كتابة هذه **الرّسالة** وهو الذي لم يسبق له قطّ أن لقي أبا العلاء أو كاتبه والعهد «بالرّسائل الاخوانيّة الطّوال أن تكون بين من تربطهم أواصر مودّة وصحبة أو خصومة وعداء، والذي بين أبي العلاء المعري وابن القارح يبدأ أوّل ما

يبدأ بهاتين الرّسالتين المطوّلتين من غير سابق معرفة أو اتصال» (2)، بالرّغم من ذ لك نجد ابن القارح شديد التّزلّف إلى أبي العلاء كثير ... التودّد إليه فأشاد به إشادة متكلّفة بعيدة كلّ البعد عن التّلقائيّة والصّدق « **وأنا معتذر إلى الشّيخ الجليل من تقريظه مع تقريظي فيه، لأنه قد شاع فضله في جميع البشر وصار غرّة على جبهة الشّمس والقمر، خلّد ذلك في بدائع الأخبار وكُتب بسواد اللّيل على بياض النّهار، وأنا في مكاتبة حضرته بمنظوم ومنثور كمن أمدّ النّار بالشّرر وأهدى الضّوء إلى القمر وصبّ في البحر جرعة وأعار سيف الفلك سرعة،إذ كان لا يحلّ النّقص بواديه ولا يطور السهو بناديه**» كما نلاحظ أنّ ابن القارح - في رسا لته - قد بالغ في الدّعاء لأبي العلاء فكان كلّما ذكر اسمه أردفه بدعاء نشتمّ منه رائحة التملّق والنّفاق مثل قوله:" **ثم بلغني عن مولاي الشّيخ . أدام الله تأييده** "و" **أسأله** - **أدام الله عزّه** ... -".ولئن أمكن اعتبار مثل هذا الدّعاء سيرا على طبيعة العصر وطريقة « مقبولة في التودّد ، فإنّه ليبدو غريبا كلّ الغرابة أن يفتتح ابن القارح رسالته إلى أبي العلاء – وهو الذي لم يلقه قطّ - بالقَسَم بأغلظ الأيمان أنّه مستعد لافتداء أبي العلاء بنفسه ويسأل اللّه أن يجعل يومه قبله حقيقة لا مجازا وأملا لا مجاملة: " **أدام الله كفايته وجعلني فداء، وقدّمني قبله على الصّحة والحقيقة**" والأغرب من كلّ ذلك أن نجد **ابن القارح يتحرّق شوقا إلى رؤية أبي العلاء** وهو الذي لم يره قطّ ، بل إنّ حنينه إليه أشدّ من « **حنين الواله إلى بكرها أو ذات الفرخ إلى وكرها وحنين الظّمآن إلى الماء والخائف إلى الأمن والغريق إلى النّجاة** »

ب) <u>الوجه الثاني: ابن القارح المنافق</u>: أقرّ ابن القارح في رسالته بندمه على ما بدر منه في شبابه من " **إمراج نفسه في الأغراض الموثيميّة والأعراض البهيميّة** " وأعلن توبة صادقة وإن كان ذلك بأخرة من حيا ته– واعترف في لهجة كلّها ندم « **إنّي أستعين بعصمة اللّه .. وأجعلها معيني..فقد عميت عن كلوم غيرها (الدنيا)** كما اعترف ابن القارح أنّه كان في شبابه ماجنا فاسقا ، وأنّه حاول التّوبة ،لكنّه كان في كلّ مرّة يعجز عن كبح جماح نفسه يقول مصوّرا الصّراع النّفسي الذي عاشه بين دواعي التّوبة ودواعي المجانة :« **فأقلق وأبكي بكاءً غير نافع ولا ناجع وأنشد:**

الدّنانير الكعبيّة ويرتع في خيرِ مَنْ يعلم أنّه سفك الدّماء وانتهك الحريم وأرمل الحرائر وأيتم الصّبية ؟" (5)

د) **الوجه الرّابع: ابن القارح المعتدّ بأدبه:** ما جعل رسالة ابن القارح طويلة هو تنوّع مواضيعها وكثرة الاستطراد فيها وحشدها بالأخبار والأشعار، كلّ ذلك لإبهار أبي العلاء بسعة علمه وطول باعه، من ذلك أنّ الرّسالة حوت ما لا يقلّ عن ثمانين بيتا من الشّعر، كما تحدّث عن كثير من العلماء والأدباء، وعرض ما يعرفه عنهم من أخبار وأفكار، بل كان الرّجل لا يترك فرصة إلاّ واستغلّها للاستطراد ليعرض بضاعته، من ذلك حديثه عن جنون أبي القاسم المغربي يقول « **فخشيتُ جنون جنونه لأنّه كان مجنونًا وأصحّ منه مجنونٌ وأجنّ منه لا يكون ، وقد أنشد:**

جنونك مجنون ولست بواجد ❖❖❖ طبيبا يداوي من جنون جنون

بل جُنّ جنّانه ورقص شيطانه:

به جِنّـــة مجنـونة غيـر أنهـّا ❖❖❖ إذا حصلت منه ألّب وأعقل »

كما تحدث ابن القارح عمّن درس عليهم من العلماء والأدباء بكلّ تباه واعتزاز «**كنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه رحمه اللّه واختلف إلى أبي الحسن المغربي ولمّا مات ابن خالويه سافرت إلى بغداد ونزلت على أبي علي الفارسي وكنت أختلف إلى علماء بغداد: إلى أبي سعيد السّيرافي وعليّ بن يحيا الرّماني وأبي عبيد الله المرزباني وأبي حفص الكتّاني صاحب أبي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله ﷺ وبلغت نفسي أغراضها جهدي والجهد عاذر .**

و لعلّ هذا الاعتداد بمحفوظه من الشّعر والأدب واللّغة، وهذا التبجّح بدراسته على أشهر علماء ذلك العصر، جعل ابن القارح يشعر بضرب من الاستعلاء والتفوّق تجاه أبي العلاء - رغم المبالغة في الإشادة به والإعلاء من شأنه - وإلاّ كيف نفسّر شرح ابن القارح لأبي العلاء كلمة "الهفتجة ": «**فقال لندمائه(يعني الوليد بن يزيد): والله لأشربنّ الهفتجة يعني شرب سبعة أسابيع متتابعة** » و قوله: ((**قال جبريل في حديثه :خشيت أن يتمّ فرعون الشّهادة والتّوبة فأخذت قطعة من حال البحر فضربت بها وجهه - يعني طينه -** »

كما بدا ابن القارح في رسالته مزهوّا بشاعريّته معتدّا بها اعتدادا مفضوحا خاصة في خبر الشّمعة إذ قال له المغربي يوما لابن القارح « **اريد أن اجمع أوصاف الشّمعة السّبعة**

في بيت واحد وليس يسنح لي ما أرضاه فقلت:أنا أفعل من هذه السّاعة.... فأخذت القلم من دواته وكتبت بحضرته:

لقد أشبهتني شمعة في صبابتي ❖❖❖ وفي هول ما ألقى و ما أتوقّع

نحولٌ وحـــرقٌ في فناء ووحدة ❖❖❖ وتسهيد عين واصفرار وأدمع

فقال:"كنت عملت هذا قبل هذا الوقت " فقلت : تمنعني سرعة الخاطر وتعطيني علم الغيب ؟»

هـ) **الوجه الخامس: ابن القارح الناقد الأدبيّ**: أسفرت رسالة ابن القارح عن إنسان محافظ في مواقفه اللغويّة وذوقه الأدبيّ، يخلط في نقده الشّعراء بين الفنّ والمسائل الاعتقاديّة يصنّف الشّعراء لا وفق الإجادة أوعدمها، أو أيّ مقياس فنّي آخر، بل وفق معتقداتهم ،فهو مثلا حين نقد ولَع المتنبّي بالتّصغير سرعان ما أحاله إلى مسألة اعتقاديّة ، فطعن في دين أبي الطيّب وعقيدته يقول في رسالته:« قال المتنبّي:"أذمّ إلى هذا الزّمان أهيله" ..و لا يجب ان يشكو عاقلا ناطقا إلى غير عاقل ولا ناطق ... إلاّ أن يكون ممّن يعتقد انّ الأفلاك تعقل و تعلم و تفهم »

وحين تحدث عن بشّار وأبي تّمام لم يتعرّض إلى أشعارهما باعتبارهما من أعلام الشّعراء العرب، بل اكتفى بالطّعن في معتقديهما قال عن بشّارمثلا :« وقتل المهدي بشّارا على الزّندقة ... »

وجملة القول ، بدا ابن القارح من خلال رسالته ،ثقيل الظلّ منافقا ، يظهر نقيض ما يضمر، شخصية ثعبانيّة ، يحسن التودّد والتملّق،مغرورا بيدي التّواضع ،فاسقا يتزيّا بالورع، محافظا في مواقفه الأدبيّة يخلط في نقده بين الفنّ والمعتقد .

والأكيد أنّ رسالته هذه قد أكّدت الصّورة التي حصلت لأبي العلاء عنه سماعا ، فكان الردّ ((لائقا)) بمقام ابن القارح ،وكانت رسالة الغفران .

الهوامش

1) الغفران ص 42. 44 (2) نفس المصدر ص 42 (3) نفس المصدر ص 42(4) نفس المصدر ص 43. 44

(5) نفس المصدر ص 43 و 44(

تقديم رسالة الغفران

التّسمية: يتركّب العنوان من لفظتين :

① رسالة :جاءت مسنَدا تحدّد شكل الأثر وجنسه، ويقتضي هذا الجنس الأدبيّ مرسِلا هو أبو العلاء المعرّي ومرسَلا إليه هو ابن القارح .

② الغفران: وجاء مُسندا إليه يحدّد مضمون الأثر، ذلك أنّ أبا العلاء حقّق في هذه الرّحلة لابن القارح ما كان يتمنّاه، وهو أن يُغفر له، ولعلّها سُمّيت بهذا الاسم لأنّ ابن القارح كان كلّما صادف أحدهم في الجنّة بادره بالسّؤال: ((**بم غفر لك؟**)) **لم أمليت الرّسالة ومتى ؟** عاد أبو العلاء سنة 400 للهجرة من بغداد خائبا، متألّما حسيرا وانكفأ يضمّد جراحه ويكفكف آلامه، وقرّر العزلة والانقطاع عن الدّنيا واقتلاعها من نفسه، راضيا بما قُدّر له، وبعد ربع قرن من الوحدة تقريبا، أي سنة 424 هـ وهو في سنّ الستّين وَفَدتْ عليه رسالة ابن القارح لترجعَه بعنف إلى عالم ظنّ أنّه طلّقه منذ زمن سحيق ، وتفطّن أبو العلاء إلى ما وراء الرّسالة من نفاق ورياء ، **وإلى شخصيّة** صاحبها المتلوّنة التّعبانيّة، وأدرك أنّ ((صاحبه)) أدنى من أن يُردّ عليه ردّا جادّا **وأتفه من أن** يُسكت عنه، فقرّر أن يكون الرّدّ طريفا، ساخرا ماسخا لابن القارح **ولأمثاله من المنافقين.**

ومن النّقّاد من اعتبر رسالة ابن القارح مجرّد قادح، أو **إن شئت هي العذر** الذي به تعذّر أبو العلاء لإملاء رسالته، ويقولون بوجود **عوامل أخرى أبعد من** رسالة ابن القارح وأعمق منها:

أ) أنّ قضايا عديدة شغلت فكر أبي العلاء وباله، **طرحها في اللّزوميّات** وغيرها من مؤلّفاته، وعاد إليها في رسالة الغفران، **خاصّة منها قضايا الغيب**، كالبعث والحشر والحساب والعقاب وغيرها، **إلى حدّ تمنّى لو يبعث أحد الموتى** ليسأَلَه عن الخبر اليقين:

لو قام من أهل البلى مخبر ◆◆◆ سألـتُ عن قـومٍ وأرّخت

هَـلْ فَازَ بـالجنّة عمّـالُـها ◆◆◆ وهَلْ ثَوى في الأرْضِ نَوبخْتُ

ب) لئن بدا ابن القارح **محترِما لأبي العلاء** مقدّرًا له، فإنّ ذلك لم يحُلْ دون الشّعور ببعض الاستعلاء تجاهه، **فتبجّح بشاعريّته**، وبمن درس عليهم من الشّيوخ وشرح له

بعض الألفاظ خشية ألاّ يفهمها ! ولعلّ هذا ما دفع أبا العلاء إلى إعطاء ابن القارح دروسا في اللّغة والنّحو والعروض والأخبار، فحوت رسالة الغفران، بذلك، من العلم والأدب و الأخبار والأشعار ما تضيق عنه الرسائل الاخوانيّة عادة .

ج) لعلّ من أهم دواعي تأليف رسالة الغفران روم أبي العلاء أن يُحيي نار القارئ ويستطقه بلا هوادة عن معانيَ باتت من المسلّمات ، فيُرغمه على معاودة فهمه لوجوده والتثبّت من صحة علائقه بنفسه وغيره . تصبح رسالة الغفران دعوة إلى إعادة النّظر في اعتقادات الناس وتصوّراتهم حول طبيعة الجنّة وطرق الفوز بها وتجسيدا ساخرا لما علق بأذهانهم من جهالات وضلالات صارت بمرور الزّمن من المعتقدات .

د) من النّقاد من يذهب إلى أنّ رسالة الغفران - بما حوت من أفانين الخيال - كانت متنفّسا لقلب الشيخ و نفسه، بأن حقّق في الرّحلة ما لم يتحقّق له في الواقع .

تركيب الرسالة : تتكوّن رسالة الغفران من أقسام ثلاثة:

① **الدّيباجة** : وهي قسم تقليديّ، افتتحه أبو العلاء على سنّة القدامى، بالبسملة والحمدلة والثّناء على الرّسول وعترته، وتقريظ ابن القارح لكنّه استطرد فيه استطرادا طريفا، تحدث فيه عن النّعابين و الحيّات والأفاعي، وهو أمر غريب في مقدّمة رسالة إخوانيّة ،وقد أرجع بعض النقّاد هذه التحيّة المسمومة ، إلى أنّ أبا العلاء تفطّن إلى شخصيّة ابن القارح النّعبانيّة، لما أظهره في رسالته من تملّق وتزلّف و تديّن مبالغ فيه ونقمة على الزّنادقة متكلّفة .

② **الرّحلة** : وهي استطراد تخييليّ ، ورحلة طريفة شيّقة حقّق فيها أبو العلاء لابن القارح ما كان يتمنّاه فارتفع به إلى العالم الآخر في مغامرة بين المحشر والجنة وجهنّم ، يغلب عليها الخيال و الإضحاك والنّقد السّاخر .ويُمكنُ تقسيمُ قِسم الرّحلةِ إلى خمْسةِ فصولٍ هي: الفِردوسُ والجحيمُ والمَحشر ثُمَّ العَوْدُ إلى الفِرْدوسِ بصفة نهائيّةٍ .

①القسم الأوّل : الفِردَوس

بعد الإعلام بوصول رسالة ابن القارح ووصفها يتصوّر أبو العلاء حروف الرّسالة وقد استحالت « **أشباح نور . تستغفر لمن أنشأها** » ثمّ تعرُج وصاحبَها إلى الفردوس ويشرع الرّاوي في وصف الجنّة بذكر مفصّل لشجرها وأنهارها المتنوّعة من عسل وسمن ولبن وخمر ثمّ

يظهر ابن القارح « **وقد استحقّ تلك الرّتبة بيقين التّوبة** » واصطفى له ندامى من أدباء الفردوس يلهجون بما هم فيه من نعيم الجنّة ويتناشدون أشعار فحول العرب وتتوالى لقاءاته مع الشّعراء، فيصادف الأعشى وزهير بن أبي سلمى وعبيد بن الأبرص وعديّ بن زيد العباديّ ويرافقه في رحلة قنص، ثمّ يصادف أبا ذؤيب الهذليّ يحتلب ناقة ،وتتتابع المشاهد حتّى إذا لقي ابن القارح خمسة نفر من أجمل أهل الجنّة عيونا وأحدّهم بصرا أعلموه أنّهم عوران قيس ورووا له حرماتهم، فيروي لهم ابن القارح بدوره قصّة دخوله إلى الجنّة .

② القسم الثّاني : المحشر

هو عبارة عن لاحقة ، إذ يعود بنا ابن القارح إلى ما قبل دخول الجنّة، فيروي محاولاته يوم الحشر لدخول الجنّة قبل الميعاد في فقرة هي أجمل فقرات الرّحلة لتوفّر أغلب عناصر القصّ فيها من سرد ووصف وحوار عاديّ وباطنيّ وأحداث وتشويق وأبطال(معرقلين ومساندين للبطل الرّئيسيّ) إلى غير ذلك.

③القسم الثّالث : عود إلى ذكر الجنّة

واصل ابن القارح نزهته في الجنّة، ثمّ بدا له أن يصنع **مأدبة في الجنان يجمع فيها أشهر شعراء** الخضرمة والإسلام ، فيحقّق له اللّه ذلك في طرفة عين ، **وتتمازج الأشعار بالغناء والرّقص** حتّى " **تهتزّ أرجاء الجنّة** "ثمّ يرغب البطل في أن " **يطّلع إلى أهل النّار** " **فيمرّ في طريقه إليهم** بمدائن الجنّ الذين آمنوا بمحمّد ﷺ ، فيعرج عليهم ملتمسا بعض أخبارهم **وأشعار المردة**، ويصادف شيخا لهم اسمه" الخيثعور " وكنيته " أبو هدرش " جالسا على باب مغارة، فينشده قصيدتين من شعره، ويهمّ ابن القارح أن يكتب منه ، ثمّ يعدل عن ذلك لأنّه- على حدّ قوله- "**قد شقي في الدّار العاجلة بجمع الأدب دون أن يحظى بطائل**"

④القسم الرّابع : الجحيم

جاء الجحيم في سبعة عشر مشهدا ، يقدّم أبو العلاء في كلّ مشهد منها شاعرا ممّن أُدخلوا جهنّم، وأدار أبو العلاء بينه وبين بطل الرّحلة ابن القارح حوارا في الأغلب لغويّ أو أدبيّ، ونادرا ما يتجاوزهما إلى قضيّة غيبيّة أو أخلاقيّة ، وقد حفل الجحيم بعدد من أشهر الشّعراء

أمثال بشّار وعنترة والأخطل وعمرو بن كلثوم والمهلهل وغيرهم كثير. ولكنّ القسم المخصّص للجحيم يظلّ قصيرا جدّا بالمقارنة إلى القسم المخصّص للنّعيم ،ولعلّ ذلك يعود إلى نفور الإنسان من تصوّر مشاهد العذاب ،إضافة إلى أنّ رسالة الغفران تقوم أساسا على الغفران ودخول الجنّة ،أمّا الحديث عن جهنّم فلم يكن إلاّ وسيلة مكّن بها أبو العلاء بعض أهلها من إبداء رأيهم في أهل الجنّة وفي بعض القضايا الأدبيّة واللّغويّة والغيبيّة أحيانا.

⑤ القسم الخامس : الفردوس من جديد

بعد أن حقّق ابن القارح غايته من زيارة أهل جهنّم قفل عائدا إلى الفردوس فصادف في طريقه إلى الجنّة أبانا آدم ،كما مرّ بروضة الحيّات،حيث عرّضه أبو العلاء إلى مواقف محرجة مضحكة،ثمّ مرّ بأبيات « **ليس لها سموق ابيات الجنّة**» وإذا هي منازل الرّجز من الشّعراء،ثمّ يعود ابن القارح إلى الفردوس من حيث **انطلق**،**ليستقرّ** بدار الخلود « **أبدا سرمدا ناعما في الوقت المتطاول منعّما لا تجد الغير فيه مزعما** »

3) **الردّ**: وهو ـ شأن الدّيباجة ـ قسم تقليدي **ردّ فيه أبو العلاء على** القضايا التي أثارها ابن القارح في رسالته،**والتزم فيه بنفس التّخطيط** الذي اتّبعه المرسل ،فجاء كل ما في الرّد يطابق كل ما **في رسالة ابن القارح** .

الخيال في رسالة الغفران

مفهوم الخيال : إن كان المقصود بلفظة " خيال " خلق شيء من لاشيء ،وابتداع صور لا وجود لها ،والإتيان بأوهام لم يُسمع بمثلها من قبلُ، فلا حظّ لرسالة الغفران من الخيال، بل لا حظّ لأيّ أثر أدبيّ منه، إذ يجعل هذا الفهمُ الخيالَ ضربا من الوهم بعيدا كلّ البعد عن الخيال الذي نعرفه في مختلف الآثار الأدبيّة .

أمّا الخيال الذي نذهب إليه فهو عمليّة تركيب وتأليف لصور طريفة جديدة من مواد موجودة وعناصر مألوفة ، وعلى ضوء هذا التّحديد يصبح حظّ رسالة الغفران من الخيال عظيما.

تجلّيات الخيال : إنّ القرائن الدّالة على وجود الخيال في رسالة الغفران عديدة منها :

☜ القرائن الأسلوبيّة : **إنّ الرّحلة بأماكنها وأشخاصها وأحداثها** جاءت متوقّفة على أمرين:

أوّلا توبة ابن القارح **وثانيا قبول التّوبة من لدن الله ، والأمران لم يتمّا بعد**، أو على الأقلّ ما زالا في أمر **الغيب،و الأدلّة على ذلك كثيرة** في النّص ، منها قول الرّاوي في وصف الجنّة : « **فقد غُرس لمولاي الشّيخ الجليل** - إن شاء الله - بذلك الثّناء شجر في الجنّة لذيذ **اجتناء** » **أو قوله** عن ابن القارح : " فيقول - أنطقه الله بكل فضل - إن شاء ربه أن يقول - أنا أقصّ عليك قصّتي » من كلّ ذلك نتبين أن أحداث الرّحلة متوقّفة **على** إرادة اللّه و مشيئته " أي أنّه لم يحدث شيء في الواقع ولم يتحقّق أي فعل ، **فالأحداث** لئن وقعت في القصّة والنصّ ، فإنّها لم تتحقّق في واقع الأمر ،لذا وجدنا المعري في رحلته يكثّف من استعمال :

1 - إمّا المضارع جوابا لجملة الشّرط التي تتصدّر النّص .

2 - وإمّا الماضي في جملة شرطية كاملة العناصر" (1) مثل قوله:« **وإذا مرّ الله تبارك اسمه بورود تلك الأنهار صاد فيها الوارد سمك حلاوة** » « **وإذا أراد عنقودا من العنب انقضب من الشّجر**». وقد يعمد الرّاوي إلى إشارات خفيّة مثل صيغة التّخيير في قوله : « **فيأخذ سفرجلة أو رمّانة أو تفّاحة أو ما شاء اللّه من الثّمار**» فما معنى

استعمال أداة التّخيير هذه لولا أنّها دليل آخر على أنّنا إزاء صيغة سرديّة من نوع خاص ...تحيل على ما يقدّر له أن يقع (2) لا على ما يقدّر له أنه وقع فعلا .

فكل ما يحدث ـ إذن ـ لم يحدث في الحقيقة أو أنه يجري ـ إن صحّ استعمال هذه العبارة ـ " في عالم الاحتمال و التقدير "..(3)

القرائن المعنوية :

1 ـ الخيال زمانا: تدور أحداث الرّحلة بعد الموت والنّشور، فالزّمن إذن سرمديّ مطلق لا حدود له متحرّر من النّسبية والتغيّر وهو ما دفع الرّاوي أحيانا إلى مقارنته بالزّمن الدنيويّ النّسبيّ لإبراز تميّزه ،يقول ابن القارح:"**فلما أقمت في الموقف زهاء شهر أو شهرين...**""**وكان مقامي في الموقف مدة ستة أشهر من شهور العاجلة** ».

* **خرق الحدود الزّمانيّة** :جمع أبو العلاء في رحلته بين شخوص ينتمون إلى عصور مختلفة وأزمنة متباينة تمتدّ من بداية الحياة البشريّة (آدم) إلى القرن الخامس للهجرة، كما جمع أبو العلاء في مشاهد أخرى بين الإنس والجان (ابن القارح وإبليس وابن القارح وأبي هدرش وهو من كبار شيوخ الجنّ) وبين الإنس والملائكة:"**و يمرّ ملك من الملائكة فيقول: يا عبد الله اخبرني عن الحور العين ...**"

* بل وجدنا المعرّي **يكسّر عنق الزّمان فيجعل السّابق عارفا** باللاّحق :كأن ينطق البعض بما يستوجبه الحوار **وإن كان جاهلا بالموضوع جهلا كاملا** ،من ذلك أن النّقاش احتدّ بين ابن القارح وبين عمرو بن أحمر . **وهو جاهلي لم يدرك علم** التصريف ـ حول اشتقاق بعض الألفاظ « **فيلهم الله القادر ابن أحمر علم التّصريف ليريّ الشّيخ برهان القدرة** » .

من ذلك أيضا تلاوة عديّ بن زيد العباديّ، **وهو نصرانيّ جاهليّ** لم يدرك الإسلام آية من الذّكر الحكيم ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ ونودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾

2 ـ الخيال مكانا :

* **تغيير ملامح المكان** : لقد كان إطار الرّحلة المكانيّ فريدا عجيبا اجتمعت فيه المتناقضات اجتماعا « خارقا » لا يمكن أن يكون إلاّ وليد خيال واسع خلاّق، فالجنّة كانت في جوانب منها شبيهة بالصّحراء ، تغلب عليها الكثبان و إن كانت من عنبر ،يقول ابن القارح لإحدى الجواري "**اتبعيني بين**

كثبان العنبر "و تجري بين تلك الكثبان « **أنهار ...من ماء الحيوان ...وسعد من اللّبن ...وجعافر من الرّحيق المختوم**» كل ذلك تحت أشجار «**تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلّ غاط**»،أما صخور الجنّة فمن أحجار كريمة وكذلك قصورها، فزهير"**قد وُهب له قصر من ونيّة** » والنّابغتان وُهبا قصرين من درّ.

✳**الأحداث الخارقة** : نقلنا أبو العلاء في رحلته إلى عالم أسطوريّ شبيه بعالم ألف ليلة وليلة تتكلمّ فيه الحيوانات وتطير فيه الخيل وتتقلب فيه الإوزّ جواري وتخرج فيه الغواني من الثّمار «**فيأخذ سفرجلة أو رمّانة أوتفّاحة أوما شاء اللّه من الثّمار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء تبرق لحسنها حوريّات الجنان**»...

« **فينشئ الله بلطف حكمته شجرة من عفر... فتونع لوقتها ثم تنفض عددا لا يحصيه إلاّ الله سبحانه و تنشقّ كلّ واحدة منها على أربع جوار يرقن الرّائين ممّن قرب والنائين يرقصن على الأبيات المنسوبة للخليل**".

✳**قلب صورة المغفور لهم** : لمّا كان من خصائص الجنّة الكمال فقد قلب أبو العلاء نقائص المغفور لهم خصالا ، فالأعشى انقلب «**شابّا شرانق.. وقد صار عشاه حورا معروفا وانحناء ظهره قواما موصوفا**» **وزهير بن أبي سلمى الشّيخ القائل :**

ألم ترني عمّرت تسعين حجّة وعشرا تباها عشتها و ثمانيا

صار«**شابا كالزّهرة الجنيّة** » **وحمدونة** التّي **طلّقها زوجها لرائحة كرهها** في فيها ولقبح منظرها ، صارت **كأنّها الياقوت** والمرجان **وتوفيق السوداء أصبحت أنصع** من الكافور ،وعوران قيس صاروا **من أجمل** النّاس عيونا **وأحدّهم نظرا**.

مصادر الخيال

يمكن إرجاع ما جاء من خيال وخوارق في الرّحلة **إلى نبعي أساسيّي**: التّلقّي الخارجي والتأمّل الباطني .

✪ **التلقّي الخارجي** : ويمكن تحديده في نبعين أساسيين: المصادر النّقليّة والمصادر الواقعيّة .

1 . **المصادر النقلية**:

أ- **القرآن** : إنّ أهمّ مصدر استقى منه أبو العلاء عناصر عالمه الآخر بجنّته و ناره هو القرآن ، ذلك أن القرآن قد أطنب في تصوير الجنّة باعتبارها

قد توفّر فيها من المتع الماديّة و المعنويّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وكذلك جاءت صورة جهنّم في القرآن "مرهبة " لما حوته من صور العذاب الماديّ خاصّة .

و يبدو أن أبا العلاء قد أخذ من القرآن أكثر المادّة التي صاغ منها عالمه الآخر بل كاد ينقل الصّور القرآنيّة نقلا ،خاصّة في تصوير الجنّة،فأهمّ ما يميز جنّة أبي العلاء وفرة الظّلال وكثرة الأنهار الجارية لبنا وعسلا وماء وخمرا « **و تجري في أصول ذلك الشّجر أنهار تختلج من ماء الحيوان و الكوثر يمدّها في كل أوان ... وسعد من اللّبن متخرّقات لا تغيّر بان تطول الأوقات و جعافر من الرّحيق المختوم عزّ المقتدر عن كل محتوم تلك هي الرّاح الدائمة لا الدّميمة ولا الذّائمة** »

وهو قريب كلّ القرب من قوله تعالى﴿ مثل الجنّة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه و أنهار من خمر لذّة للشّاربين و أنهار من عسل مصفّى و لهم فيها من كلّ الثّمرات ﴾ ،وفي جنّة القرآن لا حقد ولا موجدة فقلوب المغفور لهم قد غسلت من أحقاد الدنيا ﴿و نزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين لا يمسّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾.

وكذلك الأمر في جنّة أبي العلاء "**فصدر أحمد بن يحي هنالك غسل من الحقد على محمد بن يزيد فصارا يتصافيان و يتوافيان...**»

وما قيل عن الفردوس يقال أيضا عن جهنّم «فترى تأثّره بالقرآن واضحا في الألفاظ و الصور فلقد سميّ دار العذاب في عالمه الآخر بأسماء أربعة وردت جميعا في القرآن هي: النّار والجحيم وجهنّم وسقر" (1)

ووسائل التّعذيب في الجحيم قرآنيّة لا ريب « **فيطّلع فيرى إبليس - لعنه اللّه - وهو يضطرب في الأغلال و السّلاسل ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية** » « **ثم يصادف رجلا في اصناف العذاب يُغمض عينيه حتّى لا ينظر إلى ما نزل به من النّقم فيفتحهما الزّبانية بكلاكيب من نار وإذا هو بشّار بن برد** »... « **وينظر فإذا عنترة العبسيّ متلدّد في السّعير**» ولكنّ صورة الجحيم في رسالة الغفران تظلّ بسيطة هيّنة بالمقارنة إلى قوله تعالى مصوّرا مصير من لم تشمله مغفرته:﴿ فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم يصطهر به ما في بطونهم والجلود

ولهم مقطع طن حديد﴾ أو قوله ﴿ إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم غيرها ليذوقوا العذاب﴾

ب. **الشّعر الجاهليّ**: استوحى أبو العلاء الكثير من صور عالمه الأخرويّ من الشّعر، فخمر الجنّة مثلا تُنشي ولا تُسكر كما « **قال علقمة:**

تشفي الصّداع ولم يؤذيه صالبها ولا يخالط منها الرّأس تدويم»

وأنهار الجنّة تسيل خمرا وفقّاعا وعسلا« **يصيد فيها الوارد سمك حلاوة ... لو بصر به أحمد بن الحسين لاحتقر الهديّة التي أُهديت إليه فقال فيها:**

أقلّ ما في أقلّها سمك يلعب في بركة من العسل »

وكذلك فعل في جهنّم فاستعار من الشّعر القديم صورة صخر في جهنّم في شكل جبل شامخ والنّار تضطرم في قمّته كناية عن العذاب تجسيما لبيت قالته فيه أخته الخنساء:

وإنّ صخرا لتأتمّ الهداة به كأنّه علم و في راسه نار

ج - **الصّور الإسلامية** : استقى أبو العلاء مادّة عالمه الآخر - إضافة إلى القرآن والشّعر - ممّا امتلأت به كتب التّفسير في ذلك العصر وممّا تناقله بعض الرّواة من وصف للجنّة التي وُعد بها المتّقون ومن تأويلهم لصور نعيم القرآن، كما اعتمد على ما يردّده النّاس حول طبيعة الجنّة وجهنّم وحول دور الرّسول في يوم الحشر ومكانة عترته وخاصة آل البيت، فالرّسول" **يتلألأ وجهه تلألؤ القمر والنّاس يهتفون به من كلّ أوب يا محمّد...يا محمّد..الشّفاعة ... الشّفاعة »**

وتحيط به العترة المكرّمة المبجلّة " **علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه -** " وحمزة "**عليه نور يتلألأ وحواليه رجال تألق منهم أنوار**» و فاطمة - صلوات الله عليها تخرج " **في كل حين مقداره : أربع و عشرون ساعة فتسلّم على أبيها وهو قائم لشهادة القضاء ... ومع فاطمة امرأة أخرى تجري مجراها في الشّرف والجلالة فقيل من هذه ؟ فقيل خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزّى ومعها شباب على أفراس من نور فقيل من هؤلاء ؟ فقيل عبد اللّه والقاسم والطّيب والطّاهر وإبراهيم بنو محمد صلّى الله عليه وسلم**» .

كما تبدو ظلال المجتمع الإسلاميّ الأوّل في إدخال أبي العلاء جنّته أسد القاصرة ويقال :إنه افترس عتبة بن أبي لهب بن عبد المطّلب بن هاشم الذي زوّجه النبيّ ﷺ« ابنته رقية قبل المبعث فلما بُعث جاءه عتبة وقال: يا محمّد أشهد أنّي قد كفرت بربّك وطلّقت ابنتك، فدعا الرّسول ربّه أن يسلّط عليه كلبا من كلابه ، فخرج إلى الشّام في ركب فيهم « هبّار بن الأسود » حتى إذا كانوا بوادي القاصرة - وهي مسبعة - نزلوه ليلا فافترشوا صفّا واحدا فقال عتبة : « أتريدون أن تجعلوني حجزة ؟ لا و اللّه لا أبيت إلاّ في وسطكم، فبات وسطهم، قال: هبّار فما أنبهني إلاّ السّبع يشمّ رؤوسهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح : أي قوم قتلتني دعوة محمد (!) ؟ يقول أبو العلاء في رسالة الغفران عن أسد القاصرة : « **ويحمّ فإذا هو بأسد يفترس من صيران الجنّة وحسيلها فلا تكفيه هنيدة ولا هند أي - مائة ولا مائتان - فيقول : « أتدري من أنا أيها البزيع ؟ أنا أسد القاصرة التي كانت في طريق مصر فلمّا سافر عتبة بن أبي لهب يريد تلك الجهة و قال النبيّ صلى الله عليه و سلم " اللهم سلّط عليه كلبا من كلابك" ألهمت أن أتجوّع له أيّاما وجئت وهو نائم بين الرّفقة فتخلّلت الجماعة إليه وأدخلت الجنّة بما فعلت »**

د . **<u>الأساطير</u>: نقلنا أبو العلاء في غفرانه إلى عالم أسطوريّ عجيب**، تتكلّم فيه الحيوانات وتنقلب فيه الطّيور نساء وتخرج فيه الغواني من الثّمار وتطير فيه الخيل،ولعلّ أبرز المظاهر أسطوريّة ما ذكره أبو العلاء من انقلاب الإوزّ إلى جوار كواعب يغنّين ويرقصن ويطربن الجالسين :« **ويمرّ رفّ من إوزّ الجنّة...فيقلن :ألهمنا أن نسقط في هذه الرّوضة فنغنّي لمن فيها من شرب فينتفضن، فيصرن جواري كواعب يرفلن في وشي الجنّة وبأيديهنّ المزاهر وأنواع ما يلتمس من الملاهي**» وقوله: « **فينشئ اللّه بلطف حكمته شجرة ....تونع لوقتها ثمّ تنفض عددا لا يحصيه إلاّ اللّه سبحانه وتنشقّ كل واحدة منها عن أربع جوار يرُقن الرّائين ممّن قرُب والنّائين يرقصن على الأبيات المنسوبة إلى الخليل وأوّلها:**

إنّ الخليط تصدّع فطر بدائك أو قع»

و تكاد هذه الصّور و غيرها كثير، تكون صدى لما شاع في ألف ليلة و ليلة من عجيب خارق : قصور من درّ، وحيوانات ناطقة تطير وخروج حوريات من الثّمار إلى غير ذلك

2) الواقع :

*__طبيعة العصر__ : لئن كانت الرّحلة خياليّة تدور أحداثها في العالم الآخر فإنّ هذا لم يمنع أبا العلاء من أن يستوحي جانبا هامّا من الصّور والأحداث من العصر بمستوياته السياسيّة والأدبيّة والاجتماعيّة إلى حدّ صار معه بالإمكان الخروج بصورة شبه واضحة عن العصر من خلال رسالة الغفران ،ففي المجال الأدبيّ يمكن الإشارة في هذا الصّدد إلى ما أورده أبو العلاء في جنّته من نقاش بين الأدباء في شتّى المواضيع سرعان ما يتطوّر إلى سباب وشتم « **قال أبو عثمان المازنيّ لعبد الملك بن قريب الأصمعيّ :" يا أبا سعيد ما وزن اوزّة ؟ فيقول الأصمعيّ : ألي تعرّض بهذا يا فصعل وطالما جئت مجلسي بالبصرة وأنت لا يرفع بك رأس** »وقد يتعدّى الأمر السبّ والشّتم إلى الاعتداء بالعنف « **فيثب نابغة بني جعدة على أبي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول أصلح اللّه به وعلى يديه : لا عربدة في الجنان إنّما يعرف ذلك في الدّار الفانية بين السّفلة والهجاج** »

و لا ريب أنّ أبا العلاء في تصويره للجنّة قد تأثّر بالواقع الاقتصاديّ لمجتمعه وبتركيبته الطبقيّة،فقد حملت جنّة أبي العلاء بصمات ذلك المجتمع، فوجدنا الفردوس مقسّما إلى طبقات:طبقة المغفور لهم وهم يعيشون في نعيم الرّفاه والبذخ، فقصر زهير بن أبي سلمى من ونيّة وقصر النابغتين من درّ وكلّهم في سنّ الشّباب تعلو وجوههم الأنوار ثمّ جنّةالعفاريت **وهي ذات أدحال وغماليل**، فجنّة "المسعفين أمثال الحطيئة : «**فإذا هو ببيت في اقصى الجنّة كأنّه حفش أمة راعية وفية رجل ليس عليه نور سكّان الجنّة وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاك**».وأخيرا جنّة الرجّز وهي أبيات ليس لها سموق أبيات الجنّة .

✪ **التأمّل الباطنيّ** : لئن استمدّ أبو العلاء مادّته في صنع عالمه الآخر من القرآن والصّور الإسلاميّة والأشعار والأساطير وطبيعة العصر،فإنّه لم يكتف بتنسيقها وترتيبها ليُخرج لنا صورة مكرّرة باهتة لا طرافة فيها ،بل قد لوّن كلّ ذلك بطابعه المميّز وبعالمه الباطنيّ«فلم يكن ينقل من الصّور القديمة إلا متأثّرا

بعالمه النفسيّ الخاصّ، ولا يرسم ما اختار من أجزائها إلاّ بعد أن تعبر دنياه و تمرّ بكلّ ما تضطرب به من أشواق و هموم وما تنفعل به من عواطف وهواجس وما تحسّه من آلام و آمال » (1)

لذا لم تكن جنّة أبي العلاء جنّة القرآن ولا هي جنّة النّاس المعروفة بل هي جنّة " علائية متميّزة " يستطيع القارئ أن يرى فيها ملامح شخص صانعها فإذا هي حسب تحليل بنت الشاطئ «جنّة إنسان حبيس مقيد، و جنّة محروم ،وجنّة ضرير ، وجنة أديب» (2)

1 ـ **جنّة الحبيس المقيد** : يبدو هذا في الحركة الشّديدة التي عمّت الرّحلة، فابن القارح منذ أن ارتفع به أبو العلاء إلى العالم الآخر لم يهدأ، كان دائم الحركة والتنقّل، يخرج للصّيد والنّزهة فينقلب هدوء الجنّة غناء ومرحا وضجيجا، وقد تتطوّر الحركة فتصبح سبّا وشتما بل واعتداء بالعنف ويصاحب هذه الحركة الماديّة حركة نفسيّة مثل الغضب والانفعال والنّشوة وألم الخيبة والحنين والحذر والخوف « **ويجوز أن يقذفني السابح على صخور زمرّد فيكسر لي عضدا أو ساقا فأصير ضحكة في أهل الجنان** »أو الإغراء وغيره.

2) **جنّة المحروم** : يبدو الحرمان واضحا في حشد أبي العلاء جنّته بمختلف المتع الماديّة، وكأنّه عمد إلى أن يحقق في جنّته ما لم يتحقّق له في دنياه ،فالمآدب حوت من الثّمار ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، **ومن الطّيور مالا حصر له** من طواويس مصوصة **وإوزّ مشويّ وكردناج معمول بسمّاق أو معمول بلبن** وخلّ، أمّا النّساء فقد كنّ عنصرا أساسيّا **من عناصر المتعة**،فهنّ مغنّيات ينشدن في مجالس الأنس،وراقصات **يسلّين الحاضرين، بل** وكنّ وسيلة من وسائل" فضح " كبت أبي العلاء وحرمانه خاصّة في **إلحاحه على شهوات** ابن القارح، إذ يمكّنه تارة من الانفراد بصاحبة له من الحور العين قائلا لها:« **اتبعيني بين كثبان العنبر وأنقاء المسك فيتخلّل بها أهاضيب الفردوس ورمال الجنان** ...» وطورا **يختلي** بحوريّتين من الحور العين....ويميل على كل واحدة منهما « **يترشف رضابها** »

3) **جنّة الضرير** : لقد عمد أبو العلاء ـ وهو الذي ابتُلي بعاهة العمى ـ إلى تعويض كلّ من أُصيب بعاهة في عينه كمالا ،فالأعشى أصبح أحور

العينين، والأعور أحدّ النّاس بصرا والأعمى مبصرا، وينصرف ابن القارح « **إلى حميد بن ثور فيقول: إيه يا حميد لقد أحسنت في قولك :**

أرى بصري قد رابني بعد صحّة وحسبك داء أن تصحّ و تسلما

فكيف بصرك اليوم ؟فيقول : إنّي لأكون في مغارب الجنّة فألمح الصّديق من أصدقائي وهو بمشارقها » بل حتّى في جهنّم وجدنا أبا العلاء يعوّض لبشار بن برد عماه « **وإذا هو ببشار بن برد قد أعطى عينين بعد الكمه** »

4) <u>جنّة الأديب</u> : كادت جنّة **أبي العلاء** وجهنّمه تقتصران على الأدباء والشّعراء أمثال **الأعشى وزهير وعديّ** وحسان والنّابغتين وغيرهم من أهل النّعيم،و عنترة وامرئ القيس **والأخطل** وغيرهم من أهل النّار ، كما نجد أبا العلاء قد أدخل جنّته علماء اللّغة **أمثال أبي عمرو** والأصمعيّ وغيرهما كثير،ليكونوا حكَما فيما قد يحدث بين **الشّعراء من خلاف** .

وأغلب من في الجنّة أو جهنّم **يقول الشّعر** أو على الأقلّ يحفظه فإبليس كان يحفظ بيتي بشّار في تفضيله إبليس **على آدم** :

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبيّنوا يا معشر الأشرار

النّار عنصره و آدم طينة والطّين لا يسمو سموّ النار

و الحيّات تروي الشعر و **كذلك الجنّ والعفاريت**،ولا نكاد نجد مأدبة دون أن يكون الأدب عنصرا أساسيّا **من عناصر المتعة فيها**،بل حتّى جهنّم رغم ما كان فيه المغضوب عليهم من **عذاب،فإنّ أبا العلاء أنطقهم** شعرا وجعلهم يتحاورون وابن القارح في مواضيع أدبيّة و لغويّة.

من كل ذلك نتبيّن أن **حظّ رسالة الغفران من الخيال وافر ، وقد استلهمه** أبو العلاء من مصادر عديدة ونصوص مختلفة **بعضها أدبيّ و بعضها مقدّس**، وبعضها أسطوريّ وبعضها واقعيّ وفضل المعرّي إنّما **في التّأليف بينها حتّى** « أننا لو جرّدنا رسالة الغفران ممّا تتضمنه من نصوص لغير أبي **العلاء من الشعراء والعلماء والحكماء**،فضلا عن الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة،و فضلا عمّا سكت أبو العلاء عن ذكره عن قصد أو غيره،لو فعلنا ذلك لما بقي من الرّسالة إلاّ شيء قليل ممّا يعدّ من تأليفه الخاصّ إن جاز اعتباره كذلك حقا» .

كما صاغ أبو العلاء عالمه الأخر ـ و خاصة الجنة ـ تحت تأثير عالمه النفسي فجاء مليئا حركة تتمّ عن حلم المقيّد الحبيس، و جاء مليئا متعا ماديّة حسيّة بل دنيويّة ،هي جنّة إنسان قضى على نفسه بالحرمان من كل الملذّات، وهي جنّة ضرير عانى من عاهة العمى فأشفق على غيره أن يبتلى بما ابتلي به، فعوّضهم عن كلّ عاهاتهم، وهي جنّة أديب إذ اقتصر أبو العلاء في عالمه الآخر على الأدباء و علماء اللّغة فجعل أغلب حديثهم عن الأدب، وجعل الشّعر حاضرا في كلّ مآدبهم واجتماعاتهم بل حتى في خصامهم فهم يتخاصمون و يتنافرون بالشعر والأدب .

1 ـ كتاب النصوص، السنة السابعة ج 1 ص 275

2 و3 ـ نفس المصدر ص 261

.(1) الغفران ص108

(1) عن رسالة الغفران / بنت الشاطئ ص 305

(1) الغفران ص 113 (2) نفس المصدر ص 19

الإضحاك و تقنياته في رسالة الغفران

أجمع النّقاد - قدامى ومعاصرين - على أن الطّابع المميّز لرسالة الغفران هو الإضحاك والسّخرية قال آدم متز « ورسالة الغفران يتجلّى فيها التهكم الخفيّ على أتمّه » ويبدو - أول وهلة - غريبا الحديث عن الإضحاك عند المعري،وهو الذي عرف باليأس والقنوط و الجدّ الصّارم إلى حد التّشاؤم ، ولكن إذ عرفنا « أن الإنسان لم يكن حيوانا ضاحكا إلاّ لأنّه أكثر الموجودات على الأرض شقاء وأعمقها ألما » (1) أدركنا أن الإضحاك في رسالة الغفران ردّ فعل طبيعيّ على ما عاينه أبو العلاء في عصره من تدهور سلوكي وقيميّ وفكريّ ، يصبح الضّحكُ بذلك « أداة للتهرّب من الواقع الذي يرين على كاهلها»(2) ووسيلة للانتقام، والتّعبير عن تأذّيه **ممّا يسمع و يرى من نتوءات وعيوب وشذوذ ،ولكنّه - على حدّ** قول أبي الطيّب المتنبيّ - «ضحك **كالبكاء** ».

فما هي مظاهر الإضحاك في رسالة **الغفران و ما هي تقنياته ؟**

من تقنيات الإضحاك في رسالة الغفران :

① **التّظاهر بالجدّ واضمار خلافه** :أي أن يتفوّه المتحدّث **بكلام جادّ في ظاهره** ،هازئ في الحقيقة من ذلك وصف **أبي العلاء رسالة ابن** القارح بقوله : « وقد **وصلت الرّسالة التي بحرها بالحكم مسجور ومن قراها ماجور... وغرقت في أمواج بدعها الزّاخرة و عجبت من اتّساق عقودها الفاخرة** » **ومثل هذا الوصف** يحتمل قراءتين الأولى جادّة يغلب **عليها الإطراء والإعجاب مثل تشبيهها بالبحر في عمقها** واتّساعها واعتبار محتواها "**بدائع** " **وتشبيه معانيها بالعقود الفاخرة في التّنسيق** والتّنظيم والقيمة ،والقراءة الثّانية هازئة ساخرة، **يشبّه فيها أبو العلاء رسالة ابن القارح** بالبحر الهائج المضطرب المتلاطم الأمواج **تلاطما جعله يغرق فيها رغم سعة علمه**، ولعلّ قمّة السخرية تكمن في تنزيلها منزلة **الكتب السّماويّة** إذ « **من قراها ماجور** » فما بالك بمن كتبها ؟

وقريب من هذا أن يحتج الإنسان على إهانة لحقته **فيدافع عن** كرامته بغضب وعنف وإذا به في هذا الدّفاع يشوّه ذاته و يسلب نفسه **قيما أخرى**،من ذلك أن عديّ بن زيد

العباديّ اقترح على ابن القارح رحلة صيد فدعاه إلى أن يركبا « **فرسين من خيل الجنّة فيبعثانهما على صيرانها ...ونعامها... و ظبائها** » فاستاء ابن القارح لمثل هذه الدعوة واحتج بأنه « **صاحب قلم وسلم ولم يكن صاحب خيل ولا ممن يسحب طويل الذيل** » فأثبت لنفسه الأدب أي الكذب وتبرّأ من الفروسيّة.

② **الآلية أو التّكرار**: يذهب "برغسون " إلى أنّنا نضحك من كلّ تصرّف في الإنسان يشبه التّصرف الآلي الخالي من التّفكير و يبدو هذا واضحا في رسالة الغفران في حادثة الطّاووس والإوزّة إذ « **يعبر طاووس من طواويس الجنّة... فيشتهيه أبوعبيدة مصوصا فيتكوّن كذلك في صحفة من الذّهب ، فإذا قُضي منه الوطر انضمّت عظامه بعضها إلى بعض ثم يصير طاووسا كما بدأ... وتمرّ إوزّة مثل البختيّة فيتمنّاها بعض القوم شواء فتتمثّل على خوان من الزّمرد فإذا قُضيت منها الحاجة عادت بإذن اللّه إلى هيئة ذوات الجناح ويختارها بعض الحاضرين كردناجا وبعضهم معمولة بسمّاق و بعضهم معمولة بلبن و خلّ و غير ذلك وهي تكون على ما يريدون** ».

من ذلك أيضا الدّعاء لابن القارح كلّما ذُكر ،ذلك أنّنا نتوقّع إثر كلّ ذِكْر للفظة شيخ دعاء ،خاصّة إذا كنّا علمنا أن أبا العلاء في دعائه لم يكن جادّا بقدر ما كان هازئا ساخرا ،فاختار أدعية متنوّعة نشتمّ منها رائحة الاستخفاف والهزء ،خاصّة أنّ أغلبها يحمل معنى مناقضا لحال ابن القارح ووضعه ، **كأن يدعو له فيقول:« ايّد الله الفضل بزيادة مدته** » أو « **جعل الله الإحسان إليه مربوبا وودّه في الأفئدة مشبوبا**» أو قوله :" **كتّ اللّه أنف مبغظه** ».

③ **الخلل**: إنّ كلّ ما في الجنّة يدل على النّعيم والبذخ،فالقصور من حجارة كريمة والأواني من ذهب والمآكل مكدّسة ، ثم نفاجأ في آخر الجنّة بكوخ الحطيئة ،يذهب ابن القارح فـ « **إذا هو ببيت في أقصى الجنّة كأنّه حفش أمة راعية وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنّة وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاك** » فتأمّل كيف ضنّ المعرّي على الحطيئة بقصر واحد حيث القصور لا عداد لها ولا كلفة في بنائها ، و تمثّلْ حال الحطيئة و قد دخل الجنة بعد هياط ومياط فإذا « هو بائس الدّارين و ساكن أكواخ في الأرض في السماء وإذا هو ناكر لجميل قريش عليه كما كان في الدنيا ... خبيث اللّسان...وإن شئت أن

تستعين على استحضار صورة الكوخ في الجنّة فتمثّل موكبا من مواكب الملوك الفاتحين تمشي فيه بغلة أبي دلامة » (1) ...فكوخ الحطيئة في الجنّة نشاز وصورة مفاجئة تشذّ عن تناسق النعيم .

④ **خيبة الحيلة** : ومن ضروب الإضحاك خيبة الحيلة وارتدادها على صاحبها أو عجز المفرط في الذّكاء فلا يلبث أن يبدو لنفسه وغيره كأنّه مفرط في الغباء،فسقوط شيخ في بركة من الماء لا يثير فينا الضّحك بل الشّفقة عليه ، ولكن لمّا نرى رياضيا متباهيا برشاقته ولياقته يسقط ، يضحكنا ذلك أيّما إضحاك.

وذلك ما حدث لابن القارح،فهو شاعر قدير حسب ما بدا ذلك في رسالته، جرّب الشّعر في الدنيا وحقّق به عديد الأغراض فكان وسيلة ناجحة ناجعة ،وحاول أن يستعمله يوم الحشر في الدّخول إلى الجنّة وكلّه ثقة في نجاعة شعره،وإذا بنا نفاجأ بخيبة الرّجل، يقول له رضوان:«**انك لغبين الرأي** » ثم يقول له زفر :« **واللّه ما أقدر لك على نفع** ».

ولعلّ قمّة السّخرية تكون مع حمزة باعتراف ابن القارح نفسه في قوله:« **إنّ الشّعر عند هذا أنفق منه عند خازن الجنان لأنّه شاعر وإخوته شعراء وكذلك ابوه وجدّه ولعلّه ليس بينه وبين معدّ بن عدنان إلاّ من قد نظم شيئا من موزون**»

وبذلك تكون كلّ ظروف النّجاح متوفّرة لكنّنا نفاجأ باستهجان حمزة لما أتاه ابن القارح من صنيع، قائلا :« **و يحك ، أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح ؟**»

⑤**المقابلة بين الواجب والحاصل**: يضحك المرء من كلّ شيء **يوضع في غير** موضعه ويظهر بغير المظهر الواجب له،**وفي غير** الصّورة **اللائقة به، يضحك** من الشّيخ المتصابي كأن يصوّر ابن القارح ساجدا إعظاما للّه« **لإخراجه امراة من ثمرة**» و«**يخطر له في نفسه وهو ساجد أنّ تلك الجارية - على حسنها ضاوية** – فيرفع رأسه **من السّجود وقد صار من ورائها ردف يضاهي كثبان عالج وأنقاء الدهناء** »

ويصف الرّاوي ابن القارح بعد عودته من زيارة أهل جهنّم وهو يتخلّل بجارية «**أهاضيب الفردوس ورمال الجنان** » قصد الانفراد بها. فالضحك هنا هو وليد مقارنة سريعة مفاجئة بين حالة تراها وأخرى تتخيّلها ،حالة كائنة وأخرى واجبة ،فمظهر نابغة بني جعدة وهو « **يضرب الأعشى بكوز**

من ذهب » يثير فينا الضّحك لأنّ صورة الجنّة في أذهاننا توحي بالسّلام والطّمأنينة بل والكمال، بينما نفاجأ بالعربدة والشّجار والاعتداء بالعنف.

⑥ **المواقف الحرجة** : من تقنيات الإضحاك في رسالة الغفران العبث بابن القارح وجعله يعيش مواقف حرجة تفقده أعصابه ، ففي يوم الحشر لما نادى هاتف في النّاس داعيا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب ليشهد على توبة ابن القارح، لم يجبه المنادي إلاّ في الثّالثة بعد أن « **أخذه الهلع والقلّ**» فأجابه قائلا :"**نعم قد شهدت توبته" فعندها نهضت و قد أخذت الرمق**».كما هزأ أبو العلاء بابن القارح فتصوره يجري في الجنّة مهرولا هاربا من أفعى تراوده عن نفسه وتناديه« :**هلمّ أن شئت اللّذة ..لو ترشّفت رضابي لعلمت أنّه أفضل من الدرياقة..**»

أو مثل تصوّر ابن القارح محمولا على ظهر الجارية زقفونة ،أو تصوّره وهو يتساقط على الصّراط يمينا و شمالا والجارية تمارسه .

⑦**إضحاك الكلمات** : من الوسائل التي أشاعت في الرّسالة جوّا من الإضحاك استعمال كلمات ذات جرس غريب مضحك مثل" **زقفونة – الجحجلول - كفرطاب**"والغاية من ذلك الإضحاك لا غير.

---

(1) و(2) أبو حيّان التوحيدي، زكريا ابراهيم ص215

(1) مطالعات في الكتب الحياة ص 92

السّخرية في رسالة الغفران

لئن اختلفت مواقف النّقاد من قضيّة الخيال في رسالة الغفران فأنكر البعض وجوده و أقرّه البعض وتردّد وفريق ثالث بين إثباته و إنكاره ،فإنّ أغلب النّقاد قديما و حديثا اتّفقوا على أنّ السّخرية هي الطّابع المميّز لغفران أبي العلاء وإن اختلفوا في تسميتها ، فقد سمّاها الأقدمون "استخفافا "وسمّاها المحدثون تهكّما وسخرية ،وتقول بنت الشاطئ "وفي الحقّ أنّنا لا نخطئ حسّ السّخرية في رسالة الغفران بل إنّه يكاد يكون طابعها المميّز" ، وأكّد طه حسين أنّ أبا العلاء لم يعمد - في نقده ما تواضع عليه النّاس- إلى طريقة مباشرة عارية بل "سلك طريق السّخرية "،ويعترف عبّاس محمود العقّاد لأبي العلاء بملكة السخر" فالسّخر هو ملكة المعرّي حقا لا التّجميل ولا الخيال".

و قارن محمد مندور أبا العلاء بأشهر الأدباء السّاخرين مؤكّدا أنّ في رسالة الغفران "روح العبث المعروفة بـ HUMOUR ... وعدّه عليّ شلق سيّد السّاخرين " إذ أن المعرّي أخذ بيد الشّعراء و النّقاد و الرّواة وغيرهم كثير « وقام معهم برحلة لا أمتع منها ولا أغرب ولا أروع فإذا به سيّد الساخرين في أدب البشر»

تعريف السّخرية:حسب تعريف القاموس السّخرية معنى يتألّى من

التّعبير بطريقة خاصّة عن عكس ماي راد قوله " هي إذن تختلف عن النقد المباشر لقيامها على التلميح دون التّصريح،كما تختلف أيضا عن روح العبث HUMOUR والتهكّم SARCASME والهزل والنّكتة وإن جمعها كلّها عنصر الإضحاك باعتبارها "هزلا موجها" او " تهكما هادفا "بغاية النّقد . فما هي مظاهر السّخرية في رسالة الغفران و ما هي أبعادها ؟

اجتماعيّا :

السخرية من معتقدات العصر

① معتقد الشفاعة :

سخر أبو العلاء من اعتقاد شائع لدى الناس متمثّل في فكرة الشّفاعة وذلك بأسلوب كاريكاتوريّ،بدا في موضعين من الرّسالة :

❁ الشفاعة للأعشى : صور أبو العلاء يوم الحشر وقد غلبت عليه الفوضى والهرج والمرج والصّراخ، والنّاس ملتفّون حول "الرّسول" يهتفون به من كل أوب « **يا محمد يا محمد الشفاعة الشفاعة.. نمتّ بكذا و نمتّ بكذا**» وبعد الإطّلاع على الظّروف التي حالت دون الأعشى واعتناق الإسلام وهي حبّه للخمر ومنع قريش لاتّصاله بالرسول ، أدخله الجنّة رغم ضعف الحجّة ولا معقوليتها، لا لشيء إلاّ لأنّه مدح الرّسول في الدّنيا .

❁ الشفاعة لابن القارح : بعد سلسلة طويلة من المحاولات الفاشلة نجح ابن القارح في الدّخول إلى الجنّة وكان ذلك بعد محاولته مع رضوان فزفر وحمزة ،ثم لمّا خاب مسعاه توجّه إلى عليّ ففاطمة فالرّسول، وفي آخر الأمر شُفع له لأنّه كان في الدار الذّاهبة إذ كتب كتابا وفرغ منه قال في آخره : « **وصلى الله على سيّدنا محمّد خاتم النّبيين و على عترته الأخيار الطيّبين**».

لم رفض أبو العلاء فكرة الشّفاعة ؟ إنّ فكرة الشّفاعة في حدّ ذاتها مغرية لأنّها تفتح للإنسان باب الأمل في تدارك ما اقترفه من ذنوب في حياته، لكنّ أبا العلاء يقوّض هذا الأمل. في قسوة. و ذلك :

أ ـ لما فيها من اعتراض على حكم اللّه، **فالأعشى مثلا قد مثُل أمام اللّه** فنظر في حسناته وسيّئاته ثم كان الحكم بإلقائه في الجحيم:« **سحبتني الزبانية إلى سقر**» ولكنّ الرّسول تدخّل ليبطل حكم اللّه و يحوّل وجهة الأعشى إلى الجنّة **بأن شفع له**، فشفاعة الرّسول بهذا الشّكل توضع في موضع أسمى من حكم اللّه.

ب ـ لأنّ الإقرار بفكرة الشّفاعة من شأنه أن يشجّع للإنسان على اقتراف الذّنوب وارتكاب المعاصي ،مادام للإنسان أمل في أن يختم كل ذلك بشفاعة الرّسول الماحية لكلّ الذّنوب .

ج ـ لا منطقيّتها و لما يترتّب عنها من أوضاع غير معقولة، مثل وجود فاسق ماجن كافر في نفس المكان و نفس الظّروف التي يوُجد فيها صحابيّ، يصوّر نابغة بني جعدة ذلك في حسرة و استنكار مخاطبا الأعشى : « **أتكلّمني بمثل هذا الكلام يا خليع بني ضبيعة و قد مُتّ كافرا و أقررت على نفسك بالفاحشة و أنا لقيت النبيّ**

صلّى عليه و سلّم »ويضيف: «أسكت يا ضُلّ بن ضُلّ، **فاقسم انّ دخولك الجنّة من المنكرات ...لحقّك أن تكون في الدّرك الأسفل من النّار ولقد صلي بها من هو خير منك، ولو جاز الغلط على ربّ العزّة لقلت : إنّك غلط بك** »

② **معتقد التعويض** : سخر أبو العلاء من معتقد التّعويض بأن حقّق للنّاس في جنّته ما كان ينقصهم أو كانوا يشكون منه :

❋ التعويض الخلقي : فالأعشى قد انقلب « **شابّا غرانق.. وقد صار عشاه حورا معروفا وانحناء ظهره قواما موصوفا** » وزهير بن أبي سلمى صار «**شابّا كالزّهرة الجنيّة**» وحمدونة التي كانت تفلة ومن أقبح نساء حلب صارت « **كأنّها الياقوت و المرجان**» وتوفيق السّوداء أصبحت أنصع من الكافور وعوران قيس صاروا من أجمل النّاس و أحدّهم بصرا .

❋ التعويض عن الفقر والحرمان : لقد شاع في المجتمع الإسلاميّ **الاعتقاد** أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان وأنّه لا يتمّ **الفوز بالآخرة إلا** ببيع الدّنيا ومن ثمّ فكلّ سعي إلى التمتّع في العاجلة يقابله حرمان في الآجلة ، **وكلّ من رضي** بحاله وقنع بما كتب له يعوّض اللّه له ذلك أضعافا ،وقد جسّد أبو **العلاء هذا الاعتقاد** في جنّته فالشّماخ بن ضرار **كان** « **في دار الشّقوة يجهد أخلاف شياه لجبات لا يمتلئ منهنّ القعب**" فصار في الجنّة" **يغترف في مرافد العسجد من أنهار اللّبن ، فتارة البان الإبل و تارة ألبان البقر و إن شئت البان الضّأن فإنّه كثير جمّ ، وكذلك لبن المعيز وإن أحببت وردا من رسل الأراويّ فربّ نهر منه كأنه دجلة أو الفرات**»

لم رفض أبو العلاء فكرة التّعويض ؟

إنّ **فكرة التّعويض** هي الأخرى مغرية لأنّها تبشّر الإنسان بالمساواة في عالم أسمى **يتحقّق فيه** ضرب من العدالة التي حرمها الإنسان في الدّنيا ، **لكنّ** أبا **العلاء يقوّض فينا** هذا الحلم الجميل :

أ) لأنّ الإيمان بالتّعويض في عالم أسمى يؤدّي إلى الرّضا بالموجود أي تكريس الواقع،وهذا ما جعل رجال السّياسة متواطئين مع رجال الدين يتّخذون من فكرة

التّعويض مخدّرا للعامّة، فعلى الفقير المحروم أن يرضى بما كُتب له في " دار الشقوة " أملا في أن يعوّض له الله ذلك في عالم أبديّ تكون فيه المتعة دائمة .

ب) يقول الأعشى معلّلا عدم شربه الخمر في الجنّة : « **وكذلك من لم يتب من الخمر في الدّار السّاخرة لم يسقها في الآخرة** » و في نفس السّياق سأل إبليس ابن القارح : « **إنّ الخمر حُرّمت عليكم في الدّنيا وأُحلّت لكم في الآخرة فهل يفعل أهل الجنّة بالولدان المخلّدين فعل أهل القريات**»

وهكذا يطرح أبو العلاء على لسان إبليس النّتائج الغريبة لفكرة التّعويض، إذ بالقياس إلى الخمرة تصبح كل المحرّمات والموبقات في الجنة مباحة:

	الدنيا	الآخرة
الخمر	(محرّمة)	محلّلة
اللّواط	(محرّم)	هل يصبح حلالا مثل الخمر؟

وللتّأكيد على معقوليّة هذا الطّرح جعل أبو العلاء ابن القارح عاجزا عن الإجابة فاكتفي بلعن إبليس و شتمه « **عليك البلهة ؟ أما شغلك ما أنت فيه** ».

③ **مقاييس دخول الجنة :**

الكلام : تناول أبو العلاء بالسّخرية اللاّذعة كلّ من جرّد الدّين من جانبه العمليّ وأفرغه من روحه الحقيقيّة الدّاعية إلى الفعل، و جعل منه مجرّد كلام أو في أحسن الأحوال مجّرد طقوس جوفاء، لذا جعل أبو العلاء أغلب من غُفر له حرمة، وكثيرا ما تكون هذه الحرمة واهية ،بل كثيرا ما تقتصر على القول دون الفعل ،فابن القارح غُفر له بفضل رسالته التي عدّها أبو العلاءّ: كلمة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ،ولأنّه كان في الدّار الدّاهبة إذ كتب كتابا و فرغ منه قال« في آخره :صلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم النّبيين وعلى عترته الأخيار الطيّبين»

و زهير بن أبي سلمى غُفر له لأنّه قال في قصيدة له :

فلا تكتمنّ اللّه ما في نفوسكم ليخفى،و مهما يكتم اللّه يعلم

والحطيئة غُفر له لأنّه كان صادقا في هجاء نفسه حين قال :

أبت شفتاي اليوم إلاّ تكلّما بهجر فما ادري لمن انا قائله

أرى لي وجها شوّه اللّه خلقه فقبُّح من وجه و قبُّح حامله

وموقف أبي العلاء هذا هو ردّ فعل على استسهال النّاس دخول الجنّة والاعتقاد في أنّ الأقوال كافية دون الأفعال للحصول على الغفران، بينما يرى أبو العلاء أنّ الدّين والخير ليسا قولا ولا طقوسا، بل هما عمل وسلوك :

ما الخير صوم ينوب الصّائمون له ولا صلاة ولا صوف على جسد

وإنّما هو ترك الشّر مطّرحا ونفضك الصّدر من غل ومن حسد

④ **معتقد الغفران** :

لقد شاعت في النّاس أوهام عديدة حول طرق الحصول على الغفران ،وذهبوا مذاهب شتّى في تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه إن اللّه يغفر الذّنوب جميعا إنّه هو الغفور الرحيم ﴾ ممّا جعلهم يمضون في طرق الغيّ والفساد طمعا في غفران اللّه وصفحه، وأوّل هؤلاء ابن القارح نفسه، ألم يُمرج نفسه في الأغراض البهيمية والأعراض الموثيميّة دون التّفكير في عاقبة ذلك أملا في المغفرة ؟.

و الملاحظ أن أغلب من شملتهم "مغفرة أبي العلاء"من الذين لا يستحقّونها وهو ما جعل أوس بن حجر في جهنّم يحتجّ في ألم « **ولقد دخل الجنّة من هو شرّ منّي و لكنّ المغفرة أرزاق كأنّها النّشب في الدّار العاجلة** ».

و هذا لا يعني أنّ أبا العلاء **لا يُؤمن** بالمغفرة ،أليس هو القائل في لزومياته :

إن ختم اللّه بغفرانه فكلّ ما لقيته سهل

إلاّ أنّ "المغفرة التي يأمل فيها أبو العلاء **مصدرها اللّه و ليس الرّسول كما تدّعي العامة** تشجيعا من أهل السّنة الذين **فتحوا للنّاس باب الغفران . . فاستسهلوا الحصول عليه** وعاثوا في الأرض فسادا "

⑤ **معتقد التوبة** : سخر أبو العلاء من **فهم النّاس الخاطئ لفكرة التّوبة** في شخص ابن القارح الذي أعلن - بعد حياة مليئة مجونا و فسقا - توبته واستغلّ أبو العلاء هذه المعلومة ليعبث بابن القارح في صورة كاريكاتوريّة معبرة، يوم الحشر نوردها كاملة رغم طولها :«**فسقط منّي الكتاب الذي فيه ذكر التّوبة ، فرجعت أطلبه**

فما وجدته ، فأظهرت الوله و الجزع ، فقال أمير المؤمنين : لا عليك، ألك شاهد بالتّوبة ؟ فقلت : نعم قاضي حلب وعدولها..فأقام هاتفا يهتف في الموقف: يا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب ..هل معك علم من توبة علي بن منصور بن طالب الحلبيّ الأديب ؟ فلم يجبه أحد ، فأخذني الهلع والقلّ - أي الرّعدة - ثم هتف الثّانية فلم يجبه مجيب،فليح بي عند ذلك - أي صُرعت على الأرض- ثم نادى الثّالثة فأجابه قائل:نعم قد شهدتُ توبة علي بن منصور وذلك بأخرة من الوقت،وحضرتْ متابَه عندي جماعة من العدول وأنا يومئذ قاضي حلب وأعمالها والله المستعان ».

ورفض أبو العلاء هذا الفهم الزّائف للتوبة لأنّ فيه تمويها وزيفا وكذبا على النّفس والنّاس والله ، كما أنّه يشجّع على ارتكاب المعاصي مادامت التّوبة تغسل كل الذّنوب أمّا التّوبة الحقّ حسب أبي العلاء - فلا تصح إلاّ في عزّ الشّباب :

تنسّكت بعد الأربعين ضرورة ولم يبق إلا أن تقوم الصّوارخ

فكيف ترجّى أن تثاب و إنّما يرى النّاس فضل النّسك والمرء شارخ

⑥**السّخرية من تصوّر العامّة للعالم الآخر** :

أ - **طبيعة الجنة** : لقد جاءت جنّة الغفران جنّة ماديّة ، توفّرت فيها كلّ عناصر المتعة ،فالمغفور لهم ينعمون بما حباهم به الله دون كلفة أو مشقة . والوالدان المخلّدون قيام و قعود والنّساء رهن الإشارة « **ويخلو لا أخلاه الله بحوريّتين له من الحور العين ... ويُقبل على كلّ واحدة منهما يترشّف رضابها** »والمتع الماديّة مكدّسة،فالأنهار تتدفّق خمرا ولبنا وعسلا مصفّى و« **الكؤوس من العسجد والأباريق خلقت من الزّبرجد** » والمآدب تولم وتجتمع فيها كلّ عناصر المتعة من شعر وغناء ورقص، والمغفور لهم في ظلال ممدودة « **كلّ شجرة تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلّ غاط** » تتحقّق كلّ نزواتهم بمجرّد التفكير فيها « **ويعبر بين تلك الأكراس طاووس..فيشتهيه أبوعبيدة مصوصا فيتكوّن كذلك في صحفة من الذّهب.وتمرّ إوزّة مثل البختيّة فيتمنّاها بعض القوم شواء فتتمثّل على خوان من الزّمرد**» وهذا ابن القارح متّكئ على مفرش من السندس ... « **فإذا أراد عنقودا من العنب أو غيره انقضب من الشّجرة بمشيئة الله وحملته القدرة إلى فيه** »وقد أعان أبا العلاء على صياغة الجنّة هذه الصّياغة الماديّة مسايرته لما كان شائعا في عصره من تأويل القرآن تأويلا سطحيّا ظاهريّا . وكأنّنا بأبي العلاء ينزّه الجنّة عن

أن تكون صورة مضخّمة من الدّنيا معتبرا ما جاء في القرآن من متع ماديّة في الجنّة صورة تقريبية لا غير،ولا يمكن الذّهاب إلى أنّ أبا العلاء يسخر من جنّة القرآن لأن جنّة الغفران - كما أسلفنا - ليست جنّة قرآنيّة ،بل هي جنّة علائيّة استوحاها من مصادر متنوّعة ،ثمّ هي تختلف عن جنّة القرآن كلّ الاختلاف في جوهرها وإن اتّفقت وإيّاها في الصّورة الظّاهرة،فجنّة القرآن جنّة سلام و جنّة اطمئنان ﴿ لهم دار السلام عند ربّهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون﴾و﴿ اللّه يدعو إلى دار السّلام و يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ بينما النّاظر في جنّة الغفران يرى أنّها أبعد ما تكون عن الهدوء والسّلام ،إذ يغلب عليها الضجيج والخوف والحذر « **ويجوز أن يقذفني السابح على صخور من زمرد فيكسر لي عضدا أو ساقا فأصير ضحكة في أهل الجنان** » والانفعال والضّرب « **ويثب نابغة بن جعدة على أبي بصير فيضربه بكوز من ذهب**» فلم يكن هدف أبي العلاء من تصوير الجنّة تصويرا ماديّا إلاّ السّخرية من هذه الصّورة المشوّهة حول "مكان مقدس " ثم إنّه وفّر لابن القارح الإطار الملائم لنفسيّته فأغرقه في المتع المادية وحرمه من كلّ متعة نفسيّة كالاطمئنان أو السّلام .

ب ـ تصور عامة الناس للقدرة الإلهية : صوّر أبو العلاء اللّه منهمكا في " تلبية" نزوات بعض المغفور لهم، فبدا في الجنّة على استعداد دائم لقضاء شؤونهم، من ذلك أنّ ابن القارح تحسّر على غياب **الأعشى** لعقد مأدبة أنس «**فكيف لنا بأبي بصير فلا تتمّ الكلمة إلاّ وأبو بصير قد خمسهم** "فيسبّحون للّه ويقدّسونه **ويحمدونه على أن جمع بينهم، ويتلو . جمّل اللّه ببقائه** هذه الآية ﴿ **وهو على جمعهم إذا يشاء قدير** ﴾» **وهذا أبو عبيدة يمّر** أمامه طاووس من طواويس الجنّة **فيشتهيه مصوصا فيكون كذلك في صحفة** من الذهب ،و هذا أبو ذؤيب الهذليّ يشتهي أن **يحتلب ناقة فيقيّض له اللّه** بقدرته ناقة فيحتلبها على عادته في الدّنيا « **فإذا امتلأ إناءه من الرّسل كوّن الباري جلّت عظمته خليّة من الجوهر رتع ثولها في الزّهر فاجتنى ذلك أبو ذؤيب و مزج حليبه بلا ريب**» .

وهكذا يصبح اللّه" خادما مطيعا"(1) **لا همّ له** سوى تلبية نزوات أهل الجنّة مسخّرا قدرته لإسعادهم خاصّة أنّه - جلّت **عظمته**- لا يعجزه أن يأتيهم بجميع الأغراض «**من غيرمشقّة نالتهم ولا كلفة...اصابتهم**»

ج ـ مكانة أهل البيت في الآخرة : نقد أبو العلاء بعض التصوّرات الشّائعة حول أهل البيت ومكانتهم في الآخرة، فبوّأهم مكانة مميّزة وأنزلهم منزلة خاصّة جعلتهم وسطاء بين الرّسول وبين كلّ من يروم الشّفاعة ففاطمة الزّهراء تتوسّط لابن القارح بل و تهبه جارية كي تخدمه في الجنة ثم تعود إلى مستقرها من الجنان ،وهذا حمزة « **عليه نور يتلألأ وحواليه رجال تأتلق منهم أنوار** » يلجأ إليه ابن القارح طالبا وساطته فيأسف لعجزه عن « إنجاده » و لكنّه يُنفذ معه رسولا إلى ابن أخيه عليّ بن أبي طالب ليخاطب الرسول في أمره . و هذا علي بن أبي طالب قد بُوّئ مكانة مميّزة في الجنة فكان "حاجب الرسول " وقاضي شؤونه عند الحاجة، فلما استغاث الأعشى بالرّسول أوكل لعليّ البتّ في أمره «**يا عليّ بادره فانظر ما حرمته ؟ فجاءني علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه و أنا أُعتل كي أُلقى في الدّرك الأسفل من النّار فزجرهم عنّي** » .وتؤكّد هذه المشاهد وغيرها ما كان سائدا في البيئة الإسلاميّة من تصوّرات تشيد بأهل البيت وتعظّمهم وتعدّهم أولى بالخلافة من غيرهم .

ولئن تصدّى أبو العلاء للشّيعة في رسالة الغفران بأسلوب ساخر غير مباشر فإنّه في اللّزوميات قد سفّههم و تهجّم على أهم مبادئهم "الإمامة " :

يرتجى النّاس أن يـقوم إمام ... ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب الظنّ لا إمام سوى العقـ ... ـل مشيرا في صبحه و المساء

السّخرية من العقليات الخرافيّة

1 ـ السخرية من أخرافات الرائجة حول الجنّ و العفاريت :

يبدو أنّ معاصري أبي العلاء لم يكتفوا بالإقرار بوجود بعض هذه المخلوقات باعتبارها واردة في القرآن،بل تعدّوا ذلك إلى القول بأنّ لها دورا في الدّنيا، فهي تتدخّل في حياة النّاس دون أن يقدروا على مقاومتها لأنّها تتغيّر وتتشكّل الشّكل الذي تريد لتلفت من مطاردة الإنسان لها كما قال أبو هدرش« **إنّا أُعطينا الحولة في الدّار الماضية فكان أحدنا إن شاء صار حيّة رقشاءَ وإن شاء صار عصفورا و إن شاء صار حمامة**» ومن هذه الخرافات ما يُذكر عن شعر الجنّ وعن جمع المرزباني لأشعارهم في ديوان كامل يقول (ابن القارح) مخاطبا أبا هدرش:«**أخبرني عن**

أشعار الجنّ فقد جمع منها المعروف بالمرزبانيّ قطعة صالحة:فيقول الشيخ إنّما ذلك هذيان لا معتمد عليه .. "

2 ـ السخرية من بعض أكرافات الرّائجة حول آدم : عمد أبو العلاء إلى حجاج منطقيّ واستقراء عقليّ ليدحض

نسبة الشّعر إلى آدم ذلك أن ابن القارح « لقي آدم في الطريق فسأله : يا أبانا صلى الله عليك قد روي لنا عنك شعر منه قولك :

نحن بنو الأرض و سـكّانها ... منها خلقنا و إليها نعود

والسّعد لا يبقى لأصحابه ... والنّحس تمحوه ليالي السعود

فيقول آدم أَبَيْتم إلاّ عُقُوقًا وأذيّة! وإنّما كنت أتكلّم بالعربية وأنا في الجنّةِ،فلمّا هبطتُ إلى الأرضِ، نُصل لساني إلى السّريانيّة، فلمْ أنطقْ بغيرها إلى أنْ هلكتُ، فلمّا ردَّني اللّهُ، سبحانه وتعالى،إلى الجنّة، عَادَتْ عَلَيَّ العربيةُ، فأيّ حينٍ نظمت هذا الشّعر: في العاجلة أم الآجلة؟والذّي قال ذلك يجب أن يكون قالَه وهو في الدّارِ الماكرة، أ لا ترى قوله:"منها خُلقنا وإليها نعُود" فكيف أقُولُ هذا المقال ولِسَانِي سريانيّ؟ وأمّا الجنَّة قبل أن أخرُجَ منها، فلم أكن أدري بالمَوتِ فيها، وأمّا بعد رُجُوعِي إليها فلا معنى لقولي:" وإليها نَعُودُ" لأنّه كذبٌ لا محالةَ، ونحن معاشرَ أهل الجنّة خالدون مخلّدُون " فأبرز :

أوّلا: أنّ آدم في الجنّة يتكلّم العربيّة، ⇦ احتمال قول الأبيات جائز لغةً مرفوض معنًى لأنّ الأبيات تتحدّث عن الموت ولا يوجد موت في الجنّة.

ثانيا: لمّا هبط الأرض نقل لسانه إلى السّريانيّة، ⇦ الأبيات مقبولة معنى مرفوضة لغة لأنّ لغة آدم في الدّنيا كانت السّريانيّة.

ثالثا: لمّا عاد إلى الجنّة عادت إليه العربيّة.

النتيجة:لم ينطق آدم اللّغة العربيّة وهو على الأرض بينما تؤكّد هذه الأبيات أنّها قيلت في الدّنيا بدليل قول الشّاعر" نَحْنُ بَنُو الأَرْضِ" وقوله "مِنْهَا خلقنا وإلَيْهَا نعُودُ".

الاستنتاج: امتاز احتجاج آدم باعتماد العقل والحجج المنطقيّة .

نقدالوضع السياسي: اتّخذ أبو العلاء العالم الآخر مطيّة لنقد " عالم الشّهادة " بكلّ مستوياته العقائديّة والدينيّة والأخلاقيّة والسياسيّة . والنّاظر في رسالة الغفران يخرج - حول السّياسة - بصورة مطابقة لتلك التي في اللّزوميات ،فأوّل ما عابه أبو العلاء على ساسة عصره هو حكمهم بالهوى والنّزوة ،وعدم اتّخاذهم وازعا يقيهم الخطأ هو حسب أبي العلاء العقل :

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم و يقال : ساسه

وقد نقد أبو العلاء هذه الظّاهرة في رسالة الغفران في شكل (الرسول / السلطان) الذي شفع للأعشى رغم أنه أدرك الإسلام ولم يعتنقه ،لا لشيء إلاّ لأنّه مدحه :

« **قال**(علي بن أبي طالب للأعشى) **ما حرمتك؟ فقلت** (الأعشى) : **أنا القائل :**

ألا أيّهذا السّائلي أن يمّمت فإنّ لها في أهل يثرب موعدا

فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا

فذهب عليّ إلى النبيّ صلىّ اللّه عليه و سلّم فقال : يا رسول اللّه هذا أعشى قيس قد روي مدحه فيك و شهد أنّك نبيّ مرسل ... فشفع لي فأدخلت الجنة ».

كما نقد أبو العلاء ظاهرة سياسيّة ميّزت القرن الرّابع هي ظاهرة إحاطة السّلطان **نفسه بذوي قرباه ،لا لكفاءتهم و لا لقدرتهم بل** " **تعصبا**"، **فالرّسول قرّب عليّا دون غيره واتّخذه صاحب سره و عوّل عليه في قضاء شؤونه، كما وجدنا فاطمة يوم الحشر تتدخّل لابن القارح لدى أبيها وتفعل ما لم يقدر عليه رضوان وزفر وحمزة وعليّ وغيرهم** « **فقالت لأخيها إبراهيم - صلّى اللّه عليه - دونك الرجل ... فلمّا وقفت بين يدي محمّد ﷺ قال : من هذا الأتاويّ - أي الغريب - فقالت له : هذا رجل سأل فيه فلان وفلان و سمّت جماعة من الأئمة الطاهرين... فشفع لي** ».

ونقمة أبي العلاء على الملوك معروفة لما ارتكبوه من آثام فهم :

ظلموا الرّعيّة واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

من ثمّ ليس من الغريب أن يحشرهم أبو العلاء في جهنّم « **والشّوس الجبابرة من الملوك تجذبهم الزّبانية إلى الجحيم... فهتف داع من قبل العرش : « أو لم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكّر وجاءكم النّذير فذوقوا فما للظّالمين من نصير ..." فالآن ظهر النّبأ لا ظُلم اليوم إن اللّه قد حكم بين العباد** ».

الوضع الأدبيّ :

أ- حد الشعر : أورد أبو العلاء تعريفا للشّعر على لسان ابن القارح مفاده « **أنّ الشّعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحسّ** » وهو تعريف أضاف فيه أبو العلاء إلى التّعريف الشّائع لفظتين هامّتين هما " **الغريزة والحسّ** " ليصبح الشّعر الحقّ في نظره ما توفّر فيه الإحساس، وبذلك يسقط أبو العلاء من ديوان الشّعر كلّ غرض خلا من صدق العاطفة وأوّلها المدح ، وقد أبرز المعرّي رأيه في المدح في قسوة على لسان النابغة الجعدي لمّا شبه الأعشى المدّاح بالكلب النابح بحثا عن الفضلات في المزابل، يقول عن زوجة الأعشى : « **لقد وُفّقت الهزّانيّة في تخليتك عاشرت منك النّابح عشيَ فطاف الأحوية على العظام المنتبذة وحرص عل انتباث الأجداث المنفردة** » من ذلك أيضا استنكار حمزة على ابن القارح مدحه في الجنّة معتبرا المدح دنسا وإثما في مكان مقدس « **ويحك أيفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح ؟**

ب- وظيفته : أنطق أبو العلاء ابن القارح **بوظيفة الشّعر كما كانت شائعة في ذلك** العصر وهي « **التقرّب إلى الرّئيس والملك** » وقد كان « **اهل العاجلة يتقرّبون (بالشّعر) إلى الملوك والسّادات**» كما أعاد نفس القول تقريبا لإبليس في حديثه عن الأدب « **انا فلان بن فلان من أهل حلب كانت صناعتي الأدب أتقرّب بها إلى الملوك** » أمّا في نظر الشّماخ بن ضرار فالشّعر لا يعدو أن يكون سلعة تباع « **إنّما كنت أسق هذه الأمور و أنا آمل أن أفقر بها ناقة أو أعطى كيل عيالي سنة** » لذا لم يكن من الغريب أن نجد أغلب الشّعراء قد تناسوا أشعارهم في الجنّة و أهملوها،فهذا الشّماخ بن ضرار قد شغله نعيم الدنيا عن الشعر وعديّ بن زيد العباديّ يعاتب ابن القارح على انشغاله بالأدب عن ملذّات الجنة «**يا مكبور لقد رزقت ما يكب أن يشغلك عن القريض إنّما أن تكون كما قيل لك : كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**» بل نجد من الشّعراء من تتكّر لشعره و تبرّأ منه وعدّه إثما ،فعديّ بن زيد العبادي يرفض الحديث في الأدب واللّغة : « **دعني من هذه الأباطيل**» وما هذا التنكّر إلاّ دليل على أنّ هذه الأشعار لم تكن وليدة تجربة صادقة،ومن ثم فهي خالية من الغريزة والإحساس .

البنية القصصية في رسالة الغفران

درج أغلب النّقاد على اعتبار قسم الرّحلة من رسالة الغفران نصّا متكاملا توفّرت فيه أغلب مقوّمات القص. فما هي هذه المقومات القصصيّة ؟

الإطاران المكانيّ و الزمانيّ

كل حادثة تقع، لا بدّ أن تقع في مكان معيّن وزمان ما، باعتبارهما يقومان بالدّور الذي تقوم به المناظر على المسرح .

الإطار المكاني: لو نظرنا إلى مكان الأحداث نظرة خطيّة لوجدنا :

الجنّة ثم المحشر ثم العود إلى الجنّة فالجحيم فالعودة النهائية إلى **الجنة**، من ثمّ فإنّ الجنّة قد استقطبت أغلب أحداث الرّحلة باعتبارها المنطلق والمنتهى أمّا لو أردنا ترتيب المكان ترتيبا منطقيّا وفق طبيعة الأحداث لكانت: المحشر فالجنّة وجهنّم ثم الجنّة من جديد.

① **المحشر** : يغلب عليه الازدحام والفوضى خاصّة في مناطق معيّنة مثل الأبواب المؤدّية إلى الجنّة أو حول الشّخوص الهامّة مثل حمزة والرّسول، يقول ابن القارح حين أراد مدح رضوان «**ثم ضانكت النّاس حتى وقفت بحيث يسمع ويرى** » و يقول الأعشى في نفس السياق متحدّثا عن لقائه بالرسول في المحشر: « **والنّاس يهتفون به من كلّ أوب : يا محمّد يا محمّد الشّفاعة الشّفاعة** ».

② **الجنّة** :

✯ **حدودها**: لها بداية تكون بنهاية الصّراط ووجود الأبواب المؤدّية إلى الدّاخل، وعلى كل باب حارس «**فلمّا صرت إلى باب الجنّة قال لي رضوان...**»، وللجنّة أقصى يقول الرّاوي :« **فيذهب. عرّفه الله الغبطة في كل سبيل. فإذا هو ببيت في أقصى الجنّة**» وعلى تخوم الجنّة توجد جهنّم : « **فيخلّفه و يمضي فإذا هو بامرأة في أقصى الجنّة قريبة من المطّلع إلى النّار ...** »

✯ **أقسامها** : هي درجات :

أ ـ الفردوس : و كلّ مافيه متميّز ، القصور من درّ والخون من عسجد وكذلك سائر الأواني إضافة إلى الجمال و الشّباب .

ب ـ جنة العفاريت : وهي مدائن ليست كمدائن الجنّة و لا عليها النّور الشّعشعانيّ وهي ذات أدحال و غماليل .

ج ـ جنّة التّعساء: وتوجد في أقصى الفردوس على مشارف جهنّم و يغلب عليها البؤس والفقر والشقاء:«**فإذا هو ببيت في أقصى الجنّة كأنّه حفش أمة راعية وفيه رجل ليس عليه نور سكّان الجنّة و عنده شجرة قميئة ثمرها ليس بزاك** » .

د ـ جنة الرجز : وهي أبيات قصيرة « **ليس لها سموق أبيات الجنة** »

☆**تضاريسها** : جمعت الجنّة متناقضات يصعب تصوّرها في الواقع ،منها هضاب من العنبر تجري بينها « **أنهار تختلج من ماء الحيوان...وسعد من اللبن متخرّقات ...وجعافر من الرّحيق المختوم** »**كلّ ذلك تحت شجر عظيم كلّ** شجرة «**تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلّ غاط**".

③جهنّم: وتبدو أقلّ اتّساعا من الجنّة لذلك وجدنا ابن القارح **يكتفي بالنّظر** يمينا أوشمالا ليجد ما يبحث عنه دون تنقّل مثلما كان يفعل في الجنّة: «**وينظر فإذا عنترة العبسيّ متلدّد في السّعير...**» « **وينعطف إلى المرقش الأصغر فيسأله** » .

☆ **الإطار الزماني** : لم تأت أحداث الرّحلة منتظمة انتظاما كرونولوجيّا فقد أخّر المعرّي يوم الحشر عن الجنّة،فأحدث ما يمكن تسميته بالذّكرى أو اللاّحقة. لقد كان النّسق التّقليديّ في القصّة العربيّة يتّصف بالبساطة في التّركيبة ،بحيث يكون السّياق القصصيّ خطّا مستقيما ،تتتابع فيه الأحداث أوّلا بأوّل حسب وقوعها دون تصرّف أو بتر أو كسر لمجراه الطّبيعيّ.

أمّا في رسالة الغفران فقد وجدنا القصّة تخرج عن مجراها الأصليّ،فيرتدّ الرّاوي إلى الماضي ليمكّن بطله ابن القارح من أن يقصّ علينا قصّة حصوله على الغفران ،ثمّ تعود الأحداث إلى مجراها الأوّل، وهذا التّقطّع الزّمني يعدّ من مواطن الجدّة والطّرافة في بناء رحلة الغفران.

هذا فيما يتعلّق بالتّقطيع الزّمنيّ،أمّا فيما يخصّ الزّمان الدّاخلي للأحداث فهو السّرمد،لذلك تبدو الرّحلة لأوّل وهلة خالية من العنصر الزّمنيّ ،غاب فيها اللّيل والنّهار وانعدمت الفصول والأعوام،وانتفى مفعول الزّمن" **لا هرم ولا برم**" .

وقد نجد أثناء السّرد بعض الإشارات الزّمانيّة كأن يعمد الرّاوي إلى مقارنة الزّمن السّرمدي بزمن الدّنيا،يقول ابن القارح:« **فلمّا أقمت في الموقف زهاء شهر أوشهرين..**» أو يقول: « **وكان مقامي في الموقف مدّة ستّة أشهر من شهور العاجلة**» .

الشّخصيّات

يوجد نوعان من القصّة ، قصّة الحادثة ويركّز فيها الكاتب- عادة - على الوقائع والأحداث،ثمّ يختار الشّخصيّات المناسبة ،وقصّة الشّخصيّة و يهتمّ الكاتب فيها خاصّة بمواقف البطل وآرائه،فيما تأتي الأحداث عاملا من عوامل بناء الشّخصيّة.

والشّخصيّات في القصّة نوعان، شخصيّة نامية وهي الّتي يتمّ تكوينها بتمام القصّة فتتطوّر من موقف لموقف ويظهر لها في كلّ موقف تصرّف جديد يكشف لنا عن جانب منها(1) وشخصيّة جاهزة وهي الّتي تظهر في القصّة - حين تظهر- مكتملة وتظلّ طوال الأحداث وفيّة لملامحها الّتي بدت عليها منذ أوّل القصّة،وكلّ ما يحدث من تغيّر أو تطوّر إنّما يكون في علاقتها بالشخصيّات الأخرى لا في قناعاتها أو ملامحها ، لذا تبدو طوال المشاهد المختلفة تكرّر نفسها و تؤكّد ذات الملامح.

✯**ابن القارح**: على ضوء ما تقدّم إنّ رواية الغفران " قصّة شخصيّة"، لأنّ الاهتمام كلّه مركّز على البطل ابن القارح الذّي كان الشّريان النّابض والعصب الحيّ الذّي تدور حوله كلّ أحداث الرّواية وتحوم في فلكه كلّ الشّخصيّات،فهو أوّل من ظهر وآخر من اختفى وباختفائه يسدل السّتار على أحداث القصّة :« **و يتّكئ على مفرش من السّندس .فيُحمل على تلك الحال إلى محلّه المشيد بدار الخلود لا يزال كذلك أبدا سرمدا،ناعما في الوقت المتطاول منعّما لا تجد فيه الغير مزعما**»

لقد كانت رحلة الغفران رحلة ابن القارح،والمغامرة مغامرته،والقصّة قصّته،وكان همّ الرّاوي الأوحد هو أن ينقل ما يرى بطله وما يسمع وما يعيش،بل إنّ الرّاوي كاد

يستحيل عينا مبصرة لبطله، وأذنا لاقطة لكلّ ما يتناهى إلى مسمعه، **فلا يصف إلاّ** ما يراه ابن القارح ولا يسمع إلاّ ما يسمعه، أمّا بقيّة الأشخاص فلم تكن **سوى** شخصيّات مكمّلة "للديكور"، ظلال لا يتجاوز دورها المعين على التّصرّف ، بهم تتمّ المآدب وعبر الحوار معهم يتمّ التّعبير عن أراء البطل في اللّغة والأدب وغيرهما، هي إذن مجرّد عوامل مساعدة تدور كلّها في فلكه، تؤدّي دورها ثمّ تسقط من الأحداث وتختفي إلى غير رجعة، إلاّ إذا شاء ابن القارح ذلك ورغب فيه « **فيقول** (ابن القارح) : **يا أبا سوادة و يا أبا أمامة و يا أبا ليلى اجعلوها ساعة منادمة ... فكيف لنا بأبي بصير ؟ فلا تتمّ الكلمة إلاّ و أبو بصير قد خمسهم** ».

والطّريف أنّ القارئ - بعد سقوط الشّخصيّة الثّانويّة من الأحداث و غيابها - لا يجد أيّ رغبة في معرفة مصيرها و السّؤال عن مآلها .

- **بعض ملامحه:** كاد ابن القارح طيلة الرّحلة يحافظ على ملامحه الدّنيويّة فبدا :

❁ **شاعرا متودّدا** ،سوّلت له نفسه الكذوب أن يجرّب في الآخرة أساليبه الدّنيويّة في التّودّد والنفاق، فعمد إلى مدح رضوان فزفر فحمزة، ولمّا أيقن أنّ الشعر لا ينفق على الملائكة قال لزفر متعجّبا مستغربا:"**رحمك اللّه،كنّا في الدّار الدّاهبة نتقرّب إلى الرّئيس والملك بالبيتين أو الثّلاثة، فنجد عنده ما نحبّ وقد نظمت فيك ما لو جمع لكان ديوانا، وكأنّك لم تسمع لي زجمة**".

❁ **فضوليّا** ،لقد أعطى ابن القارح - منذ ظهوره في الجنّة - لنفسه حقّ"محاسبة" المغفور لهم وحقّ سؤالهم عن حرمتهم"**بم غفر لك؟**" وكان يبدي حينا الرّضى وأحيانا التّعجّب وحينا آخر الاستنكار.

❁ **محافظا**،محترما للّغويين، متقيّدا بقواعدهم، منزّلا إيّاهم منزلة مقدّسة، لا يحقّ لأيّ شاعر مخالفتها، لذا ما انفكّ في رحلته يجلد الشّعراء بسياط علماء اللّغة، مشدّدا عليهم، محاسبا إيّاهم محاسبة شديدة، ولعلّ أفضل دليل على مغالاته في احترام علماء اللّغة أنّه لم يجرؤ - في أوّل الرّحلة - على أن يسألهم سؤاله المعهود "**بم غفر لك ؟**"وكأنّه يعتبر وجودهم في الجنّة من المسلّمات التي لا يرقى إليها الشّك أو الرّيبة أو الاستفهام.

❁ كان في الدّنيا عبدا لنفسه تقوده ولا يقودها، أمرجها في الموبقات والمهلكات فكانت حسناته قليلة كالنّفإ في العام الأرمل، لذا كان فوزه بالجنّة عسيرا، ولم يفز بها إلاّ بعد سلسلة طويلة من المحاولات وشفاعة أهل البيت. وقد ظلّ في الآخرة ضعيفا أمام نفسه، تأمره فيطيع وتدعوه فيلبّي دون تردّد أو خجل" **فلمّا أقمت في الموقف زهاء شهر أو شهرين،وخفت من العرق في الغرق، زيّنت لي النّفس الكاذبة أن أنظم أبياتا في رضوان خازن الجنان**" ويقول لمّا رأى حمزة:" **فقلت لنفسي الكذوب**".

❁ لقد حوّل ابن القارح الجنّة إلى"ملهى"فيه مجالس الأنس والمتعة من طيّبات الأكل والشّراب والرّقص والغناء، ونزهات الصّيد وما يتخلّل ذلك من انفراد بحوريّات الجنان يترشّف رضابهنّ أو يغازلهنّ..

❁ لقد كشف سلوك ابن القارح وحواره في الجنّة عن شخص إنسان ساذج التّمكير بسيطه، خاصّة في تصوّره للجنّة تصوّرا دنيويّا يتنافى والصّورة التي رام الظّهور عليها في رسالته، وهي صورة رجل عالم فقيه في الدّين، شديد الإيمان.

وبذلك نجد أنفسنا إزاء وجهين لابن القارح:

1) **كما قدّم هو نفسه في رسالته**:إنسانا ورعا متديّنا متشدّدا فيه، وشاعرا مجيدا وعالما باللّغة والنّحو والأدب، **وقد تلقّى كلّ** ذلك على أفذاذ عصره.

2) **كما قدّمه ابو العلاء: إنسانا جاهلا مدّعيا للعلم، شويعرا** عاجزا عن الارتجال، ضعيفا أمام نفسه، منافقا، مقبلا على الدّنيا، فبالرّغم من توبته المعلنة ظلّ متهالكا على الملذّات رغم صورة العالم الفقيه التي أراد أن يتزيّا بها.

☆بقيّة الشّخوص :

يمكن تصنيف شخوص الغفران إلى :

1. شخوص بشريّة : لها وجود حقيقيّ تاريخيّ، ووجودها في الجنّة أو في جهنّم نتيجة حياة سابقة، وأغلب هؤلاء شعراء جاهليّون أو لغويّون إسلاميّون، وبعضهم من عامّة النّاس مثل حمدونة وتوفيق السّوداء و بعض المغنّين والطّهاة و غيرهم.

2. شخوص أخرويّة : مثل الجنّ، ونذكر منهم أبا هدرش و قد صادفه ابن القارح في جنّة العفاريت وهو في طريقه إلى جهنّم، وإبليس و قد كان في جهنّم « **يضطرب في الأغلال والسّلاسل ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزّبانية** ».

ومن الملائكة ،ذلك الذّي أرشد ابن القارح إلى جنان الحور. كما نجد شخوصا أخرى أوجدها اللّه في الجنّة دون أن يكون لها وجود سابق في الدّنيا مثل الولدان المخلّدين ،والحور العين و قد خلقهنّ اللّه في الجنّة و لم يعرفن غيرها.

3 - بعض الحيوانات: وهي ضربان بعضها أدخل الجنّة نتيجة ما فعله في الدّنيا مثل أسد القاصرة وذئب الأسلميّ والحيّة وبعضها أوجد ليتنعّم به المغفور لهم.

4 - بعض أنواع الثّمار: وقد ألسنها أبو العلاء،فنادى بعضُها ابن القارح « **وهو مستلق على الظّهر : هل لك يا أبا الحسن هل لك** ».

والطّريف أنّ كلّ هذه الشّخصيّات على تنوّعها تنطق بلسان عربيّ مبين.

☆- **العلاقة بين الشّخصيّة الرّئيسيّة و بقيّة الشّخوص:** تراوحت العلاقة بين ابن القارح وبقيّة الشّخوص بين الانفصال والاتّصال،فتوزّعت يوم الحشر بين معين ومعيق،بينما في بقيّة الرّحلة غلب الشّعور بالضّيق من ابن القارح على غيره ، وقد بدا ملحاحا لجوجا ، ثقيل الظلّ لا يراعي ظروف المتحدّث إليه نعيما أو عذابا ، وقد كانت ردود فعل أهل الجنّة لطيفة نسبيّا وليّنة ، فعديّ بن زيد العبادي صرف ابن القارح عن الخوض في الأدب برفق ودعاه إلى القنص «**دعني من هذه الأباطيل ، و لكنّي كنت في الدّار الفانية صاحب قنص**» وكرّر نفس الأمر الشّمّاخ بن ضرّار لمّا سأله ابن القارح أن ينشده **قصيدته** التّي على الزّاي وكلمته التّي على الجيم قال:« **شغلتني لذائذ الخلود عن تعهّد هذه المنكرات**"

أمّا ردود أهل جهنّم فقد كانت أشدّ عنفا و أكثر حدّة لما كانوا فيه من عذاب،ولكنّ ولع ابن القارح بالأدب وحبّه للمعرفة أعمياه عن تلك الحقيقة ، يقول له بشّار بن برد« **يا هذا دعني من أباطيلك فإنّي لمشغول عنك** » و يقول له علقمة «**إنّك لتستضحك عابسا وتريد أن تجني التّمر يابسا فعليك شغلك أيّها السّليم**» و يقول له عمرو بن كلثوم مؤنّبا «**إنّك لقرير العين لا تشعر بما نحن فيه ،فاشغل نفسك بتمجيد اللّه** .. ».

ورغم إدراك ابن القارح أنّه غير مرغوب فيه وأنّه يجلد أهل جهنّم بسياط أسئلته الثّقيلة في قوله لأوس بن حجر: " **يا أوس إنّ أصحابك لا يجيبون السّائل فهل لي عندك من جواب ؟** " فإنّه تمادى في إزعاجهم و مضاعفة عذابهم ،وهو ما حدا بإبليس إلى

إبداء سخطه على هذا المتطفّل، فحرّض عليه الزّبانية علّهم يخلّصون أهل النّار من ثرثرته :« **ما رأيت أعجز منكم إخوان مالك! فيقولون : كيف زعمت ذلك يا أبا مرّة فيقول : ألا تسمعون هذا المتكلّم بما لا يعنيه ؟ قد شغلكم و شغل غيركم عمّا هو فيه ! فلو أنّ فيكم صاحب نحيرة قويّة لوثب وثبة حتّى يلحق به فجذبه إلى سقر**» .

الحادثة

ويسمّيها بعض النّقّاد "الحبكة"، والمقصود بها أن تكون الأحداث مسترسلة استرسالا منطقيّا تقلّ فيه المفاجآت المصطنعة والأحداث الملفقة.

والنّاظر في رسالة الغفران يلاحظ أنّ الرّحلة قامت على لوحات لا نكاد نجد رابطا بينها سوى شخصيّة البطل،لكنّنا قد نجد أبا العلاء في بعض الأحيان يعمد إلى تنظيم الأحداث وترتيبها ترتيبا محكما يبعدها عن المبالغات المجانيّة والمفاجآت المتكلّفة، فهو قبل أن يظهر الأعشى على مسرح الأحداث قد مهّد له بأن جعل ابن القارح في جلسة مع بعض علماء اللّغة يتحسّر على غياب الأعشى: "**آه لمصرع الأعشى ميمون... !**"

ثمّ يفترق أهل ذلك المجلس ويخطر لابن القارح أن يخرج في نزهة ولمّا انتشي طفا على لا وعْيه حديثه السّابق عن الأعشى فرفع صوته متغنّيا بأبيات للشّاعر:

ليت شعري متى تخبّ بنا النّا قةُ نحو العذيب فالصّيبُون

محقبا زُكرة و خبز رقاق وحباقا و قطعة من نُون

...فيهتفُ هاتف : أتشعر ايّها العبد المغفور له لمن هذا الشّعر ؟ فيقول الشّيخ : نعم حدّثنا أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم ..أنّ هذا الشّعر لميمون بن قيس ..فيقول الهاتف : أنا ذلك الرّجل .. » .

ولو جعل أبو العلاء ابن القارح يتغنّى ـ عند انتشائه ـ بأبيات لشاعر آخر غير الأعشى لكان ذلك ضربا من التّعسّف من لدن الرّاوي يتنافى والحبكة القصصيّة .

ومن أهمّ خصائص الحادثة أيضا الحركة وهي نوعان:حركة عضويّة وحركة ذهنيّة.

وفي رسالة الغفران كانت الحركة الطّاغية هي الحركة العضويّة لأنّ الرّحلة قائمة على تحرّك ابن القارح وتنقّله في أرجاء الجنّة و النّار .

والملاحظ أنّ هذه الحركة قد بُنيت بناء تقابليّا بين ابن القارح وبقيّة الأشخاص فإذا ما تحرّك ابن القارح منتقلا من مكان إلى آخر نجد بقيّة الأشخاص ثابتين في

المكان وابن القارح يمرّ عليهم مسلّما أو سائلا إيّاهم عن حُرمتهم أو عن قضيّة لغويّة أو أدبيّة. وإذا ما توقّف ابن القارح عن الحركة فعقد مأدبة أو حضر مجلسا أدبيّا تحرّك بقيّة الأشخاص، و لكن حوله، ذلك أن " بطل الرّحلة " لا يغيب عن الأحداث، و لا تفارقه العدسة ولو لحظة .

ونجد إلى جانب الحركة العضويّة والجسديّة ضربا آخر من الحركة هو الحركة النفسيّة التّي تموج بها نفوس المغفور لهم، مثل الخوف والشّماتة والغضب والنّشوة ....

الأدوات الرّوائيّة

1) **السّرد** : هو نقل الأحداث من عالمها الحكائيّ إلى عالم الأثر المكتوب بطريقة فنيّة يتجاوز فيها الباثّ السّرد العاديّ للأحداث إلى استبطان نفس البطل وتصوير واقعه النفسيّ، ويكون هذا السّرد وفق نظام خاصّ بالمؤلّف، قد يخالف وقوع الأحداث في الحكاية، ذلك أنّ الأحداث تكون في الحكاية ذات نظام خاصّ يسير من البداية إلى النّهاية، دون انعراج، لكنّ الكاتب قد يضيف إليها أو يحذف منها، وقد يقدّم فيها ويؤخّر فيتصرّف فيها تصرّف الفنّان القدير، مثلما فعل أبو العلاء في رسالة الغفران، فقد تعمّد في رحلته بلبلة المرجع الزّمنيّ وإرباكه منظّما نصّه لا حسب تسلسل أحداث الحكاية، بل بالاعتماد على تصوّر جماليّ، ففي حكاية الغفران مثلا، سبق يومُ الحشر الجنّة، لكنّ أبا العلاء في القصّة أخّر سرد مغامرة الحشر فجاءت لاحقة .

☆- **أنواع السّرد في قصّة الغفران :**

السرد الآنيّ : وهو سرد في صيغة الحاضر مواز لزمن الحكاية ، أي أنّ أحداث الحكاية وعمليّة السّرد تقع في آن واحد ، وأغلب السّرد في رسالة الغفران من هذا القبيل إذ جاءت الأفعال مضارعة « **يخطر له، يركب ، يقول** » فلا الأفعال تسبق الرّواية ولا الرّواية تسبق الأفعال، والقارئ يعيش بالمشاهدة ما يقع أمامه في زمن واحد ...فكلّ ما يقع ،يقع أوّل مرّة والمستقبل الحدثيّ مجهول" (1).

اللّواحق : قد يتوقّف السّرد الآنيّ فيرجع بنا الرّاوي إلى الماضي ليذكر أحداثا سابقة للنّقطة التّي بلغها سرده، وتسمّى هذه الأحداث السّابقة لواحق، أو الاستذكار أو الذّكرى و قد يترجمها البعض" بالومضة الورائيّة "عن الإنقليزيّة **Flash - Back** وللّواحق

قيمة في البناء القصصيّ - رغم كونها لا تساعد على تقدّم الأحداث إذ هي ارتداد إلى الماضي - وتكمن قيمتها في :

✯- إلقاء أضواء على عنصر من عناصر الحكاية (رواية ابن القارح لِما عاشه يوم الحشر و لكيفيّة حصوله على الغفران).

✯- سدّ ثغرة حصلت في النصّ القصصيّ،أي استدراك متأخّر لإسقاط سابق مؤقّت، ويسمّي هذا الصّنف من اللّواحق المتمِّمة أو الإحالات ، ومنها سرد الأعشى لقصّة لقائه بالرّسول يوم الحشر وشفاعته له إذ لو لا ذلك لظلّ القارئ متعجّبا مستنكرا لوجود الأعشى الفاسق في الجنّة ،جاهلا بظروف الفوز بها.

✯- تمكين القارئ من عقد مقارنة بين وضعين،كأن يقارن السّارد بين وضعيّة البطل في نقطة ما من الرّحلة ووضعيّته في بداية الحكاية ،أو بين وضعيّته في الجنّة وما كان عليه في الدّنيا،وذلك لإبراز تشابه الوضعيّتين أو اختلافهما ، يقول الشّمّاخ بن ضرّار:«**وأنا الآن ... أغترف في مرافد العسجد من أنهار اللّبن ... ولقد أراني في دار الشّقوة أجهَدُ أخلاف شِياه لجِبات لا يمتلِئ منهنّ القَعْبُ**».

السّوابق: وتسمّى أيضا السّرد المتقدّم وسبق الأحداث، وهو سرد استطلاعيّ يتمثّل في **الإشارة إلى أحداث** مستقبليّة،من ذلك حديث الرّاوي عن نيّة ابن القارح **زيارة أهل جهنّم وهو ما يزال يجول بين أرجاء الجنّة «و يبدو له أن يطّلع إلى أهل النّار فينظرَ إلى ما همْ فيه ليعظم شكرُه على النّعم »**.

ودور السّوابق هو الإنباء بما سيحدث، وشدّ القارئ إلى الرّواية بإعلامه مسبّقا بمآل السّرد حتّى يخلق في نفسه شوقا إلى معرفة الأحداث اللاّحقة .

كما جاء السّرد في رسالة الغفران على ضربين:

.✯ سرد من لدن سارد " غريب عن الحكاية له سيرة ذاتيّة مستقلّة عنها ،يسرد أحداثها ولا نراها إلاّ بعينيه " من ذلك قوله : «**و ينظر الشّيخ ... و يعبُر بين تلك الأكراس طاووس ...فإذا ضرب في غيطان الجنّة لقيته تلك الجارية ...** ».

✯ سرد من لدن سارد متضمَّن في الحكاية ، فيكون الرّاوي هو نفسه البطل ، يروي الأحداث مسندة إلى ضمير المتكلّم " أنا "،و يكون السّرد شبيها بالاعترافات أو السّيرة الذّاتيّة،وهو ما يضفي على الأحداث مسحة من الصّدق،دون تكلّف أو

تدخّل أو افتعال ويبدو هذا الضّرب من السّرد في رواية ابن القارح قصّة حصوله على الغفران يوم الحشر:« **لمّا نهضت أنتفض من الرّيم... و طال على الأمد .. وأنا رجل مهياف... فافتكرت فرأيت أمرا لا قوام لي بمثله** »..

2) **الحوار**:لم يكن الحوار في الرّحلة من قبيل الحوار المسرحيّ، وُجد لكي ينطق بواسطة أشخاص يفعلون،بل هو حوار روائيّ كُتب ليُقرأ ،لذا كان أغلبه من قبيل الحوار المضمّن بالسّرد ،يكاد يكون له ـ والوصف ـ امتدادا ،وليس له وجود خارج عنهما ، ذو علاقة عضويّة بالسّرد ،نابع منه مرتدّ إليه متغلغل فيه دون قطيعة أو تعسّف.

ولمّا كانت الرّسالة قائمة على انضمام مشاهد تكاد تكون مستقلّة،ولمّا كان من خصائص المشهد أنّ حجم النّص القصصيّ يقترب كلّ الاقتراب من زمن الحكاية ويطابقه، لم يكن من الغريب أن يطغى في هذه المشاهد الحوارُ على السّرد والوصف أحيانا ، وهو ما أكسب النصّ حيويّة وواقعيّة .

وللحوار في رسالة الغفران وظائف عديدة منها أنّه يساهم - والسّرد- في دفع الأحداث وتطوير العمل القصصيّ باعتباره عنصر تواصل بين شخوص القصّة تواصلا صريحا مباشرا ،وقد يكون هذا **التّواصل اتّصالا وقد يكون انفصالا** ، و بهذه الوسيلة تبدو لنا الشّخصيّات و **كأنّها تضطلع حقّا بتمثيل** مسرحيّة الحياة فتُشخّص أمامنا ناطقة بذاتها حيّة متفاعلة، **بكلّ حريّة** و انطلاق،خاصّة أنّ الرّاوي قد لاءم بين صورة الشّخص في الآخرة **و ما رُوي** عنه في الدّنيا من أشعار ومواقف، وما عُرف به من صفات و ملامح **حتّى كاد** يكون شخصه امتدادا للدّنيا فالأعشى ظلّ ماجنا سكّيرا وأبو ذؤيب **الهذلي ظلّ** على عادته في الدّنيا يحتلب ناقة ... مع وجود أنهار لبن ، و عديّ بن زيد **العبادي ظلّ** في الجنّة شغوفا بالصّيد والقنص وهو الذّي قال في الدّنيا :

و لقد أغدو بطرف زانه وجه منزوف و خدّ كالمسنّ

ولكن مهما كان الكاتب غائبا أو أَوْهَمنا بغيابه فإنّه يظلّ حاضرا موجودا بطريقة سريّة من خلال إبراز المواقف وإدارة الحوار وتنظيم الأفكار والحجج،فهو على سبيل المثال ينقل لنا خصومة بين النّابغة الجعديّ والأعشى،ورغم التّوتّر والانفعال،فإنّ الخصومة جاءت محكمة البناء بعيدة عن التّقطّع والفوضى،

الأفكار فيها مرتّبة والحجج مبوّبة،وهو أمر مستبعد من متخاصمين منفعلين لولا أبو العلاء الأديب،الذّي أخرج هذه الخصومة إخراجا فنيّا محكما. ونادرا ما نجد في الرّحلة تخاطبا تباديّا بين شخوص القصّة لا يكون ابن القارح طرفا فيه،وكلّما سكت واكتفى بالفرجة والاستماع حدث ما لم يكن متوقّعا وتطوّر الحوار إلى خصام،ونجد ذلك في الرّحلة على الأقلّ في موضعين،الأوّل في مجلس أنس ومنادمة وقد احتدّ النّقاش بين النّابغة والأعشى ولم يتدخّل ابن القارح لحسم الموقف،واقتصر على الفرجة«**فيثب نابغة بني جعدة فيضرب الأعشى بكوز من ذهب**» ولن يُسوَّى الخلاف بين الرّجلين إلاّ بعد تدخّل صارم من لدن ابن القارح، كلّه لوم وتأنيب:«**لا عربدة في الجنان إنّما يُعرف ذلك في الدّار الفانية بين السّفلة و الهجاج.**

ونفس الأمر حدث لمّا تخلّى ابن القارح عن تنشيط مجلس أنس،فتطوّر إلى خصام بين المازني وأبي عبيدة « **يقول المازني:"ألي تعرّض بهذا يا فصعل وطال ما جئت مجلس بالبصرة وأنت لا يرفع بك رأس** ».

وإضافة إلى الحوار العاديّ نجد ضربا آخر من الحوار، هو "الحوار الباطنيّ" وهو وسيلة **فعّالة في** كشف أعماق الشّخصيّة و تسجيل ما يدور فيها من أفكار وأحاسيس **ومشاعر** لا يريد البطل الإفصاح عنها وإطلاع محاوره عليها،ومن أمثلة ذلك **في رسالة الغفران** قول ابن القارح:« **فجعلت أتخلّل العالم فإذا أنا برجل عليه نور يتلألأ وحواليه رجال تأتلق منهم أنوار فقلت :من هذا الرّجل ، فقيل : هذا حمزة بن عبد المطّلب صريع وحشيّ ..فقلت لنفسي الكذوب:الشّعر عند هذا أنفق منه عند خازن الجنان لأنّه شاعر واخوته شعراء** ..»

وبذلك يمكّننا الحوار الباطني ـ إلى جانب الحوار ـ من كشف كلّ جوانب شخصيّة البطل،فهما يسلّطان ضوءين متقاطعين على ذاته فيكشفانها بكلّ أعماقها ،كأنّه شخص على ركح سُلّطت عليه أضواء كاشفة متقاطعة .

3) **الوصف**: ويتمّ برسم الصّور وإبراز الملامح والظّواهر متحرّكة كانت أو جامدة

ويكون مدار الوصف عادة إطار وقوع الأحداث وما يؤثّثها:أشياء وحيوانات وشخوصا وغيَرها . والوصف في رسالة الغفران- شأن كلّ الآثار الأدبيّة - لم يأت بشكل مستقلّ عن السّرد بل جاء مُقحما فيه مرتبطا به .

والنّاظر في قسم الرّحلة يتبيّن أنّ الوصف لم يكن موزّعا على أقسامها بصفة منتظمة بل ارتكز خاصّة في بدايتها وآخرها، وانتشر نسبيّا في وسطها . فافتتحت الرّسالة بلوحة مرئيّة ذات مساحة مترامية، يغلب عليها الوصف التّصويريّ السّاكن، حيث يبدو المنظور المهيمن هو منظور الرّاوي للجنّة، وظلّ المشهد يلتئم و يتكوّن على نحو تدريجيّ استعراضيّ لنحصل آخر الأمر على لوحة بانوراميّة هي الإطار الذّي ستدور فيه أحداث القصّة، فنقله نقلا دقيقا بكلّ الجزئيّات المكوّنة له وكلّ تفاصيله من أشجار« **كلّ شجرة ... تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلّ غاط** » وولدان " **في ظلال تلك الشّجر قيام و قعود** » وأنهار من عسل و خمر وماء و ما يسبح فيها من أنواع الأسماك :« **بحريّة ونهريّة،وما يسكن (منها) في العيون النبعيّة ،ويظفر بضروب النّبت المرعيّة إلاّ أنّه من الذّهب والفضّة وصنوف الجواهر المقابلة بالنّور الباهر**» وأواني الشراب على اختلاف أنواعها وأشكالها ومعادنها«**كؤوس من العسجد وأباريق من الزّبرجد...وكم على تلك الأنهار من آنية زبرجد محفور، وياقوت خلق على خلق الفور،من أصفر وأحمر وأزرق ، يُخال إذا لُمس أحرق...** ».

وجليّ في هذه الفقرات، **طغيان الجمل الاسميّة**، **بينما كادت الأفعال تغيب لتحلّ** محلّها المصادر، وإن وجدت **فمضارعة توحي** بالرّتابة والدّيمومة، وهو ما أضفى عليها طابعا هادئا ساكنا ، **فتمطّلت الحركة** وخفتت فيها الرّوح، فالأنهار تنساب في بطء وحركة الولدان المخلّدين **رتيبة** منتظمة " قيام و قعود" و المغفور لهم يتحرّكون في ثقل فيغترفون من الأنهار ما لذّ وطاب . ونفس الأمر يقال عن اللّوحة الأخيرة ،إذ ينهي ابن القارح رحلته متّكئا على أريكة وقد أجهده التّعب وغلبه النّعاسُ، وتسير الحركة نحو الهدوء والسّكون:« **فإذا هُو يخَال في العِظامِ النّاعمةِ دَبيبَ نملٍ...ويتّكئ على مفرشٍ من السّندسِ ويأمُرُ الحُورَ العينَ أن يحملنَ ذلكَ المفرشَ فيَضعْنهُ على سرير سرر أهل الجنّة ... فيُحمل على تلك الحال إلى محلّه المشيّد بدار الخلود**» و كان إذا ما اشتهى ثمرة « **انقضبت من الشّجرة بمشيئة اللّه وحملتها القدرة إلى فيه** » دون حركة منه أو جهد، وجليّ - شأن لوحة الافتتاح - أنّ طبيعة بعض ألفاظ هذا المشهد مثل « **يتّكئ، دبيب نمل**» إضافة إلى المضارع، توحي بالامتداد والتمطّط في الزّمن إلى حدّ الاسترخاء والنّعاس .وبذلك تكون الرّحلة في تركيبها قريبة كلّ القرب من

الشّكل المثاليّ الذّي حدّده تودورف للرّوايات وهو شكل يتمثّل في قيام هذه الرّوايات على حالة هادئة يُدخِل عليها عامل ما، شيئا من الاضطراب، وعلى استتباب الهدوء من جديد عند تدخّل عامل ثان إلاّ أنّ الهدوء السّابق للاضطراب لا يساوي الهدوء التّابع له " (1).

خصائص الوصف : لئن مكّن السّرد من تطوير الأحداث ودفعها فإن الوصف امتداد في النصّ وتوقّف في الحركة ، لأنّ الرّاوي يركّز عدسته على نقطة ما، أو مشهد يريد إبرازه بكلّ جزئيّاته المكوّنة له، فيدقّق في وصفه تدقيقا قد يصيب النصّ بالشّلل في مستوى الحركة ،فيتقدّم النصّ ولا تتطوّر الأحداث .

لذا يغلب على فقرات الوصف الإسراف في اصطناع الزّخرف اللّغوي وتكلّف الجمل الموشّاة بصنوف البديع،كالسّجع والمطابقة والتّورية والجناس إلى درجة يقترب فيها أسلوب الغفران كلّ الاقتراب من أسلوب فنّ المقامة ولغتها،من ذلك قول أبي العلاء:« **وفي تلك الأنهار أوان على هيئة الطّير السّابحة والغانية عن الماء السّائحة فمنها ما هو على صورة الكراكيّ ، وأخر تشاكل المكاكيّ ، وعلى خلق طواويس وبطّ ، فبعض في الجارية وبعض في الشطّ** »، ومنها قوله مسرفا في استعمال الجناس حتّى انقلب المعنى أُحجية استوجب **فكّها** من لدن الرّاوي نفسه :« **هيهات ! هذه أباريق تحملها اباريق،كأنّها في الحسن الأباريق، فالأولى هي الأباريق المعروفة والثّانية من قولهم:جارية إبريق إذا كانت تبرق من حسنها ... والثّالثة من قولهم : سيف إبريق مأخوذ من البريق ...** ».

وللوصف دور هامّ في النّسيج الرّوائيّ فهو يؤطّر الأحداث و يساهم في امتداد الأثر مكانيّا ويجسّد للمتقبّل الإطار الذّي يتحرّك فيه البطل وصحبه،كما، قد يتّخذ الوصف بعدا تسجيليّا حينما يخفت البناء القصصيّ ويقترب كلّ الاقتراب من السّرد التسجيليّ إذ به يعرض الرّاوي بعض مشاهد تتعطّل فيها مظاهر الكتابة القصصيّة لتترك المجال لنوع من التّأليف الشّبيه بالصّور الموجودة في أدب الرّحلة من ذلك وصف أبي العلاء للملوك ومصيرهم وأبنائهم ونسائهم:« **والشّوس الجبابرة من الملوك تجذبهم الزّبانيّة إلى الجحيم والنّسوة ذوات التّيجان يُصرن**

بالســـــنة مـن الوقـود ،فتأخـذ في فـروعهنّ وأجسادهنّ فيصحن : هل من فداء؟ هل من عذر يقام ؟ والشّباب من أولاد الأكاسرة يتضاغون في سلاسل النّار. »

الإبـهـام

كلّ قصّة تخضع لمراحل عديدة وتسير باتّجاه معيّن،وتبدأ هذه الأحداث عادة بالمقدّمة ثمّ تبدأ الواقعة الأولى و تبدأ معها عمليّة البناء،ثمّ تتالى الأحداث المفاجئة،وتشتدّ،وباشتدادها ينمو التّشويق حتّى يبلغ ذروته فيما يسمّى العقدة، وكثيرا ما"يمطّط "الكاتب عنصر التّشويق عن طريق الإيهام،كأن يوهمنا القاصّ في كلّ مرّة بأنّ البطل سيحقّق ما يريد،لكنّ المحاولة تنتهي بالخيبة، فيستمدّ البطل من ضعفه قوّة ومن فشله عنادا،ويعيد الكرّة،وتتكرّر الخيبة،وبذلك تأخذ الأحداث طابعا متموجّا تتعقّد في الأحداث، وتنفرج لتتعقّد ثانية.

والنّاظر في قصّة حصول ابن القارح على "جواز دخول الجنّة" يوم الحشر يلاحظ أنّ أبا العلاء قد وظّف الإيهام توظيفا محكما، فنجد ابن القارح قد عمد إلى مدح رضوان «**بأشعار كثيرة** » عساه يسمح له بالدّخول قبل غيره،«**وهو لا صبر له على اللّواب**» ولكنّ رضوان رفض عرضه«**إنّك لغبين الرّاي،اتأمل أن آذن لك بغير إذن من ربّ العزّة؟** فعمد **إلى خازن آخر اسمه زفر**، و فعل معه فعله مع رضوان ، وكانت النّتيجة الخيبة **ثانية فيئس** ممّا عندهما و جعل يتخلّل العالم،فصادف حمزة وأيقن أنّه هذه المرّة نائل مبتغاه - لا محالة - لأنّ حمزة« **شاعر واخوته شعراء و كذلك ابوه و جدّه ولعلّه ليس بينه و بين معدّ بن عدنان إلاّ من قد نظم شيئا من موزون**» .

فالشّعر - على ضوء ذلك - أنفقُ منه عند خازن الجنان ، فعمل أبياتا على منهج أبيات كعب بن مالك التّي رثى بها حمزة و أوّلها :

صفيّة قومي ولا تعجزي و بكّي النّساء على حمزة .

ولضمان كلّ ظروف النّجاح ، عمد ابن القارح إلى تمجيد حمزة والإشادة بفضله على الإسلام ومكانته عند الرّسول باعتباره شهيدا و عمّ الرّسول،حتّى يقطع عليه طريق التّسويف أو الاعتذار فناداه : « **يا سيّد الشّهداء ، يا عمّ رسول الله صلّى الله**

عليه يا ابن عبد المطّلب ». ثمّ أنشده الأبيات وكلّه أمل وثقة في تحقيق مبتغاه ، لكنّ المفاجأة كانت مذهلة إذ استنكر حمزة على ابن القارح فعله ذاك « **ويحك أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمديح** » وكانت الخيبة .

ولكنّ الرّاوي لم يقطع على ابن القارح خيط الأمل إذ عمد حمزة إلى إنفاذ رسول رافقه إلى عليّ بن أبي طالب ليخاطب النبيّ في أمره،وبذلك تنفرج حدّة الأحداث ثانية لمكانة عليّ باعتباره أقرب المقرّبين إلى الرّسول، ويولي عليّ ابن القارح العناية اللاّزمة والاهتمام اللاّئق به ويسأله عن صحيفة حسناته حتّى يحقّق له ما يرغب فيه ونعتقد مع ابن القارح أنّ أزمته قد انفرجت،ولكنّ الأحداث تتصاعد مرّة أخرى عندما يبحث ابن القارح عن بيّنته فلا يجدها،لأنّه كان قد أسقطها في زحمة يوم الحشر، فيُعرض عنه عليّ وقد يئس منه،فيلجأ ابن القارح إلى فاطمة عساها تتدخّل له لدى أبيها فتطلب من أخيها أن يرافق الشّيخ الجليل إلى أبيها محمّد ،« **ولمّا وقفت عنده قالت : هذا رجل سأل فيه فلان و فلان.. فشفع لي**» وأذن له بالدّخول إلى الجنّة وكأنّ الأمر بذلك قد قُضي، ولكنّ رضوان أبى غير ذلك،فحال دونه والدّخول قائلا :« **لا سبيل إلى الدّخول إلاّ بجواز** ». وتتعقّد الأحداث مرّة أخرى ولن تنفرج إلاّ بجذب إبراهيم لابن القارح جذبه حصّله بها في الجنّة .

والنّاظر في كلّ ذلك يلاحظ أنّ الأحداث قد غلب عليها التّموّج بين الانغلاق والانفتاح وهو ما يسمّى الإيهام أو التّشويق.

من كلّ ذلك نتبيّن أنّ قسم الرّحلة في رسالة الغفران قد توفّرت فيه أغلب عناصر القصّة من إطار زمانيّ ومكانيّ وحادثة وأشخاص و تشويق إضافة إلى الأدوات الرّوائيّة (السّرد والحوار والوصف)،كلّ ذلك في أسلوب خياليّ ممتع مضحك،يجد فيه القارئ متعة للرّوح وغذاء للفكر.

(1) البنية القصصية في رسالة الغفران ص 32 . 33

(1) البنية القصصية في رسالة الغفران ص 32 . 33

رسالة الغفران بين التفكّك و إحكام البناء

رسالة الغفران، هل يخضع بناؤها إلى تصوّر مسبّق وبناء محكم، أم هي ضرب من توارد الخواطر و تداعيات الحديث ؟

اختلف النقّاد في الحكم عليها فرآها البعض مشوّشة، الأحداث فيها تسوق الرّاوي و لا يسوقها ،يسير فيها أبو العلاء على غير منهج، تحكمها الصّدفة والاتّفاق وشجن الحديث، ورأى البعض الآخر بناءها خاضعا إلى نسق ومنطق، بنيت فيها الأحداث بناء محكما من لدن فنّان قدير، خبير بتقنيّات القصّ وأساليبه .

تجلّيات التّفكّك

1- **خرق نمط الرّسائل الاخوانيّة** : إنّ المقارن بين رسالة الغفران لأبي العلاء ورسالة ابن القارح يتبيّن له أنّ الكثير ممّا جاء في رسالة أبي العلاء مطابق والقضايا التّي أثارها ابن القارح في رسالته " ومن هذه الجهة تكون رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء المعرّي هي ابتداء ،ورسالة أبي العلاء هي جواب - نصّا واحدا فيه مدّ وجزر - فالرّاسل لا يتمّ إلاّ بين اثنين والوحدة النصيّة فيه لا تكتمل إلاّ بالرّسالتن ، فهما حوار يخرق المكان أو هما كلام بكلام"(1) .

لكنّنا ونحن نقرأ رسالة الغفران، نفاجأ فيها بشرود واستطراد في المستقبل وخروج عن المنهج الذّي اتّبعه ابن القارح وابتعادا عن المسائل التّي طرحها في رسالته هو هذه الرّحلة الخياليّة العجيبة التّي رفع فيها أبو العلاء ابن القارح إلى العالم الآخر،ومكّنه من الطّواف في المحشر والجنّة وجهنّم، وملاقاة عديد الشّعراء وعلماء اللّغة والرّسول وعترته و الملائكة والجن."

من ثمّ نتبيّن أنّ الرّحلة زائدة في رسالة الغفران ،إذ ليس لها ما يقابلها في رسالة ابن القارح لأنّها خرجت بالعلاقة من علاقة كلام بكلام إلى علاقة كلام بفعال،وهذا الخرق لنظام الرّسائل الإخوانيّة يؤكّد أنّ أبا العلاء لم يكن يقود الأحداث بقدر ما كان ينقاد إليها.

2- **التّداخل بين الأجناس الأدبيّة** : تقاطعت في رسالة الغفران أجناس أدبيّة عديدة وأنماط في الكتابة مختلفة،ونصوص متباينة فوجدنا النّظم والنّثر،والخرافيّ والواقعيّ،والقصّ والتّرسّل،كما جمع أبو العلاء بين النّصوص المقدّسة قرآنا وأحاديث نبويّة و أقوالا مأثورة،وبين ما هو أسطوريّ إضافة إلى تكلّف المحسّنات البلاغيّة و الألفاظ المعتاصة التّي يتوقّف أبو العلاء من حين لآخر لشرحها،والاستطرادات اللّغويّة والأدبيّة والنّحويّة والصّرفيّة والعروضيّة،وهو ما يجعلها فسيفساء من الأشكال غير المتجانسة ومن الأساليب المتباينة.

3- **المشاهد المفكّكة** : بدا ابن القارح ،منذ ظهوره على مسرح الأحداث "يسير على غير منهج" وأبو العلاء يقفو أثره لينقل لنا ما يقول وما يفعل وما يعيش من أحداث،لذا فام قسم الرّحلة - باستثناء موقف الحشر - على مبدإ المتتاليات،فجاء مشاهد تتغيّر بتغيّر الشّخصيّة المتحدّث إليها،مفكّكة لا نكاد نجد بينها رابطا، وغالبا ما تبدأ هذه المشاهد بحرف عطف لا يفيد الرّبط بقدر ما يفيد الانتقال من مشهد إلى آخر، مثل قول الرّاوي : « **و يبدو له أن يصنع مأدبة ..**» **ويخطر له ذكر الفقاع** » « **ويلفت عنقه يتأمّل فإذا هو بأوس بن حجر**» بحيث لو أسقطنا مشهدا من المشاهد لما أثّر ذلك على السّياق القصصيّ .

وواضح أنّ أفعالا مثل " **و يبدو له** "أو "**يلفت**" **لا تصل بقدر ما تفصل** ،وهو ما جعل بعض النّقاد يعدّ هذا البناء **الانضماميّ للمشاهد عملا اعتباطياً** من لدن الرّاوي لا مبرّر فنيّا له ،لأنّ الرّاوي لم يبرز لنا مثلا لمَ **التفت بطله** ؟ ومتى بدا له ؟ وكيف ؟ ذلك ما لا نجد له في الرّحلة تعليلا.

على ضوء هذا فإنّ بناء الرّسالة هشّ لقيامه على **التّداعي**، وكأنّ الأحداث تنمو تلقائيّا بذاتها وفق الصّدفة والاتّفاق، فعدّها **محمد مندور** مثلا "مناظر مختلفة وحوادث متفرّقة و مقابلات شتّى بين أمكنة متعدّدة و أشخاص متباينين" (1) .

و يقول في نفس السّياق المستشرق "دي بور " عن رسالة الغفران "و يكاد أبو العلاء يكون خلْوا من كلّ مقدرة على ربط الأشياء بعضها ببعض ، لقد كانت له مقدرة على التّحليل أمّا التّركيب فليس له منه نصيب " .

4 - **شخوص الرّحلة** : حشد المعرّي في رحلته شخوصا من عصور مختلفة تمتدّ من الجاهليّة إلى القرن الخامس،كما جمع بين أجناس مختلفة :إنس وجان، وملائكة حيوانات،واكتفى أبو العلاء بإنطاقها العربيّة،وكأنّ ذلك كاف لإضفاء التّجانس عليها والانسجام.

5- **التّصرّف في زمن وقوع الأحداث** :لقد تصرّف أبو العلاء في التّرتيب الكرونولوجيّ للأحداث،فلم تأت مرويّة وفق زمن وقوعها، إذ أخّر الحشر عن الجنّة رغم وقوعه قبلا،إضافة إلى أنّ المعرّي قد خلط أزمنة وقوع الأحداث فبعضها جاء ماضيا يحيلنا على ما وقع فعلا، وبعضها جاء مشروطا يحيلنا على المستقبل،وبعضها الآخر مضارعا. فيظلّ القارئ مضطربا حائرا إزاء الأحداث أوقعت فعلا أم هي بصدد الوقوع أم ستقع في مستقبل الدّهر؟ .

6- **عدم تجانس المواضيع** : تناول أبو العلاء في رسالة الغفران مواضيع متنوّعة بعضها أدبيّ،وبعضها لغويّ أو صرفيّ أو عروضيّ وبعضها الآخر اجتماعيّ أو دينيّ أو سياسيّ،و بعضها الآخر غيبيّ،حتّى لتبدو خليطا من المواضيع و مزيجا من **القضايا لا رابط بينها إلاّ** إرادة الرّاوي ذلك،وغالبا ما يقع الخروج من موضوع **إلى آخر عبر الاستطراد** استطرادا متعسّفا يشوّه البناء القصصيّ ويشرخ النّسيج **الرّوائيّ**،والأمر يهون لو أن يستطرد في المرّة الواحدة إلى مسألة واحدة،ولكنّ **استطراده** غالبا يُسلِم إلى استطراد آخر فآخر،حتّى ليكاد القارئ يتيه،من ذلك وصف ابن القارح حاله يوم انتفض من الرّيم **قال « فطال على الأمد واشتدّ الظّمأ والومد»** فاستطرد ليشرح لفظة الومد قال:« **والومد شدّة الرّيح وسكون الحرّ**»ثمّ استطرد ثانيا ليورد بيتا يدعّم به شرحه فقال: **كما قال أخوكم النميريّ :**

كأنّ بيض نعام في ملاحفها جلاه طلّ و قيظ ليله ومد »

7 - **الخلط في الأدوار**: لقد جاء ابن القارح في المقدّمة والردّ متقبّلا معلوما يقول المعرّي مخاطبا إيّاه "«**وأنا اعتذر لمولاي الشّيخ**» وجاء في الرّحلة تارة موضوع حديث «**وينظر الشّيخ في رياض الجنّة فيرى قصرين منيفين** » وطورا ساردا متضمّنا في الحكاية شأنه يوم الحشر ، يقول « **لمّا نهضت أنتفض من**

الرّيم وحضرت حرصات القيامة... » وجاء الباثّ في بداية الرّسالة معلوما " **غرقت في أمواج بدعها الزّاخرة وعجبت من اتّساق عقودها الفاخرة...**" و الرّحلة مجهولا ساردا غريبا« **وسأل عن امرئ القيس ...و ينظر الشّيخ فإذا عنترة متلدّد في السّعير**» بينما جاء في قسم الردّ معلوما هو أبو العلاء .

نستنتج من كلّ ذلك أنّ المعرّي جاء باثّا و موضوع حديث في الردّ وهو في كلّ ذلك معلوم، وأنّ ابن القارح جاء متقبّلا و موضوعا للحديث فيه،وهو في كلّ ذلك معلوم أيضا في حين أنّ المعـرّي لا يظـهر في الرّحلة إلاّ نادرا، والذّي يظهر منه هو أبو العلاء الرّاوي وذلك من خلال سير الأحداث أو ضمن سردها ، في حين أنّ ابن القارح لم يظهر في الرّحلة إلاّ موضوعا للحديث . ومثل هذا الخلط في الأدوار يصيب القارئ بالبلبلة .

مظاهر إحكام البناء

1- **<u>موقع الرّحلة من الرّسالة و علاقتها بالردّ</u>** : لم تأت الرّحلة في رسالة الغفران مفروضة من لدن الرّاوي دون مراعاة السّياق المنطقي،فلو نظرنا في القسم الأوّل من الرّسالة وهو المقدّمة التّقليديّة أو الدّيباجة وقسم الرّحلة ،لما وجدنا بينهما شرخا أو قطيعة بيّنة - رغم تباين أسلوبهما - ذاك أنّ أبا العلاء انطلق بوصف الرّسالة و انتهى إلى **الجنّة معتمدا** التّدرّج ،فوظّف بادئ الأمر ألفاظا توحي بالصّعود والسّموّ من الأرض إلى السّماء **مثل« شفع ونفع وقرّب عند اللّه ورفع »** «**معاريج** «**تعرج**» ثمّ يتمّ الانتقال النّهائيّ عبر توظيف آية عن صعود الكلمة الطيّبة إلى السّماء فشبّه رسالة ابن القارح بالكلمة الطيّبة التّي أصلها ثابت وثمارها في السّماء بناء على قوله تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب اللّه مثلا كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت و فرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ﴾ وبذلك يصعد أبو العلاء بالوصف إلى الجنّة .

2 ـ تبدو الرّحلة متماسكة البناء مترابطة ترابطا عضويّا بناها الرّاوي بناء هندسيّا محكما قائما على حركات خمس:

أ- **<u>الحركة الأولى</u>**: ظهور البطل ابن القارح على مسرح الجنّة بتوظيف تركيب افتراضيّ : «**وكأنّي به - أدام الله تمكينه - إذ استحقّ تلك الرّتبة ، بيقين التّوبة وقد اصطفى له ندامى من أدباء الفردوس** »

ب - **الحركة الثّانية** : الارتداد بالأحداث إلى يوم الحشر

ج - **الحركة الثّالثة** : بعد أن جال في أرجاء الجنّة ونعم بمحاورة أدبائها وعلمائها وشعرائها وعقد مآدب الإمتاع والمؤانسة« **يبدو له أن يطّلع إلى أهل النّار فينظر إلى ما هم فيه ليعظم شكره على النّعم ..فيركب بعض دوابّ الجنّة ويسير**»

د - **الحركة الرّابعة** : في جهنّم و تبدأ بقول الرّاوي:« **فيطّلع فيرى" إبليس - لعنه الله - وهو يضرب في الأغلال و السّلاسل** ...»وتنتهي بلقاء له مع تأبط شرّا

هـ - **الحركة الخامسة والأخيرة** : **العودة إلى الجنّة**

3- **إحكام العلاقة بين الفواعل** : لئن وجدنا ابن القارح في الرّحلة"يسير على غير منهج "يطوف على الشّعراء ، وأبو العلاء يقفو أثره راويا مغامراته،واصفا لقاءاته،فإنّ انتقاله هذا ولقاءاته تلك كانت خاضعة لتصوّر منظّم قائم على التّداول في الحركة بين ابن القارح و الآخرين،فإذا تحرّك البطل سكن الآخرون وإذا تحرّكوا هم سكن هو .

ففي أوّل الرّحلة وجدنا ابن القارح يتزّه في الجنّة فيصادف الأعشى ثمّ زهيرا ، ثمّ عبيد بن الأبرص إلى غير ذلك، وتتجلّى هذه الحركة بوضوح في استعمال الرّاوي أفعالا تفيد التّنقّل مثل «**ويمضي في نزهة تلك**» « **فينهب فإذا هو ببيت في أقصى الجنّة** » « **ثمّ يضرب سائرا في الفردوس** ... » .

بينما بدا المتحاوَر معهم ثابتين في المكان،غير متحرّكين ، فأبو ذؤيب الهذليّ كان يحتلب ناقة و النّابغتان كانا واقفين أمام قصريهما وأبو هدرش شيخ الجنّ يقف عليه ابن القارح أمام مغامرة ، والحطيئة كان جالسا أمام كوخه .

وإذا ما توقّف ابن القارح شرع مَنْ حوله في الحركة فلمّا يعقد مأدبة و يسكن ابن القارح عن الحركة يشرع القوم في الوفود على المجلس « **فلا تتمّ الكلمة إلاّ و أبو بصير قد خمّسهم** » « **فبينما هم كذلك مرّ شابّ في يده محجن** » « **ويمرّ حسّان بن ثابت** » إلى غير ذلك،فابن القارح في الرّحلة إذن إمّا متحرّك وإمّا ساكن،والشّخوص فيها إمّا ساكنون وإمّا متحرّكون،وسكونهم يقابله تحرّك ابن القارح ويبرزه،وتحرّكهم يقابله سكون ابن القارح و يوضّحه كذلك .

5- **العلاقة السّببيّة بين الأحداث** : إنّ انتقال الرّاوي من مشهد إلى آخر أو فكرة إلى أخرى كثيرا ما يكون معلّلا ،تشدّه إلى ما قبله علاقة سببيّة من ذلك:

(أ) أنّ ابن القارح انتقل من بطل إلى راو وموضوع حديث مع العوران الخمسة نتيجة إلحاح عمرو بن أحمر وتميم بن أبيّ في السّؤال عن سرّ بقاء حافظة ابن القارح قويّة دون سائر المغفور لهم يقول عمرو بن أحمر مخاطبا ابن القارح « **وقد شهدت الموقف، فالعجب لك إذ بقي شيء من روايتك**» ويقول تميم بن أبي « **و إنّ حفظك لمبقي عليك كأنّك لم تشهد أهوال الحساب**» وهذا الإلحاح حمل ابن القارح على أن يروي لهم قصّة حصوله على الغفران ودخوله الجنّة .

(ب) من ذلك أيضا تعليل ابن القارح زيارته أهل جهنّم يقول الرّاوي :« **و يبدو له أن يطّلع على أهل النّار فينظر إلى ما هم فيه ليعظم شكره على النّعم** » .

وكذلك تعليله الانصراف عن أهل جهنّم والعود إلى الجنّة بالملل،يقول الرّاوي «**ويملّ من خطاب أهل النّار فينصرف إلى قصره المشيد ...**» وقوله:«**إذا رأى قلّة الفوائد لديهم تركهم في الشّقاء السّرمد و عمد لمحلّه في الجنان** » .وهذا الضّرب من التّعليل يجعل الأحداث في الرّحلة خاضعة لقانون الاستتباع،بعيدة عن المفاجآت المجانيّة المتكلّفة.

فهو قبل أن يُظهر الأعشى على مسرح الأحداث قد مهّد له بأن تصوّر ابن القارح في مجلس منادمة وقد انتشى والجماعة يقول الرّاوي « **فتقترع آنية الخمر اقتراعا يبعث بمثله الأموات**» وهذا الضّجيج يذكّر الشّيخ بشعر للأعشى ذكرَ فيه اقتراع آواني الخمر، وهو بدوره يفضي إلى تذكّر الأعشى ومصيره والتحسّر عليه يقول: « **وإنّما ذكرته** (الأعشى) **هذه السّاعة لما تقارعت هذه الآنية بقوله في الحانية :**

وشمول تحسب العين إذا صفّقت جندعها نور الذّبح

ثمّ يفترق أهل ذلك المجلس، ويخطر لابن القارح أن يخرج في نزهة فيركب "« **نجيبا من نجب الجنّة خُلق من ياقوت**" والطّقس معتدل بين" **الحرّ والقرّ ... فإذا رأى نجيبة يملع بين كثبان العنبر وضيمران وُصل بصعبر**» طفا على لاوعيه حديثُه السّابق عن الأعشى فرفع صوته متغنّيا بأبيات له :

ليت شعري متى تخبّ بنا النّا قـــة نحو العذيب فالصّيبون

محقبا زكرة و خبز رقاق وحباقا و قطعة من نون

... فيهتف هاتف : أتشعر أيّها العبد المغفور له لمن هذا الشّعر ؟ فيقول الشّيخ : "نعم حدثنا أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم ... أنّ هذا الشّعر لميمون بن قيس ... فيقول الهاتف: أنا ذلك الرّجل ... »

ولو جعل أبو العلاء ابن القارح ينشد أبياتا لشاعر آخر غير الأعشى لكان ضربا من التّعسّف يتنافى وإحكام البناء . و هكذا ظهر الأعشى بالتّدرّج، ظهر أوّلا بعالمه الشّعريّ ثمّ هاتفا فبشرا سويّا.

5- <u>الحبكة القصصيّة</u> : وهي تخفت و تقوى حسب فترات الرّحلة و مراحلها، ولعلّ أهمّ قسم بدت فيه الحبكة القصصيّة بجلاء هو يوم الحشر .

إنّ النّاظر في قسم يوم الحشر يجده نصّا متكاملا تكاد تنطبق عليه أحدث تعريفات القصّة، وهوة وجود بطل - هو ابن القارح - يروم تحقيق هدف ومبتغى - هو الدّخول إلى الجنّة - وفي محاولته تلك يسنده نفر ويعينونه (الواسطة أو المساعدون) وهم يوم الحشر عليّ وفاطمة وحمزة وإبراهيم والرّسول ومحمّد وعترته، ولكنّ حوائل عديدة تسمّى الموانع أو المعيقات، تحول دون هذه الغاية وهي في يوم الحشر :رضوان وزفر وضياع صكّ التّوبة .

والبناء القصصيّ قائم على أساس تعامل هذه العناصر فيما بينها ، فعلى أساس نسبة القوى بين الواسطة والمانع يكون التّشويق، فإذا ما رجح الواحد الآخر خفت التّشويق وضعف، فيتدخّل الرّاوي ليعيد للمعادلة توازنها ، من ذلك قلب المانع معينا في خبر ابن القارح مع زفر إذ تتالت الخيبات على البطل، فرفض رضوان السّماح له بالدّخول قبل الميعاد قائلا « **اتأمل أن آذن لك بغير إذن من ربّ العزّة هيهات هيهات!** » ! ثمّ تصامم عنه زفر قائلا : « **لا أشعر بالذّي .... قصدت** » وبذلك طغت الموانع على العوامل المساعدة ، وغلبت المعيقاتُ المعيناتِ ، وبدأ الضّجر يتسرّب إلى نفس ابن القارح، وبدأ يأس و نيأس معه، لكنّ الرّاوي تدخّل بدهاء فقلب المانع واسطة، وهي خدعة قصصيّة عمد إليها لدفع الأحداث في القصّة، يقول زفر لابن القارح ناصحا إيّاه « **وقد وجب عليّ نصحك فعليك بصاحبك**(يقصد الرّسول) **لعلّه يتوصّل إلى ما ابتغيت**» .

وبذلك يتنامى الأمل ثانية في ابن القارح وتتصاعد الأحداث ، فيلجأ إلى حمزة الذّي

أنفذ معه رسولا إلى ابن أخيه عليّ بن أبي طالب ليخاطب الرّسول ﷺ في أمر ابن القارح، ولمّا اعتذر عليّ عن التدخّل توسّطت العترة لدى فاطمة التّي كلّفت أخاها إبراهيم بأخذه إلى الرّسول ، فسأل ﷺ عن عمله فوجده في الدّيوان الأعظم وقد ختم بالتّوبة ،فشفع له وأذن له بالدّخول .

على سبيل الخاتمة

بعد كلّ هذا ،ما علاقة رسالة الغفران بالأجناس الأدبيّة المعروفة ؟هل هي رسالة إخوانيّة ؟

كثير من القرائن في هذا الأثر تؤكّد ذلك منها :

1 ـ اللّفظة الأولى من العنوان "رسالة الغفران " فهذه التّسمية إعلان صريح عن هويّة الأثر وجنسه ، وهي لفظة تحيلنا على فنّ التّرسّل باعتباره فنّا أدبيّا كان شائعا في ذلك العصر .

2 ـ نجد في هذا الأثر طرفين : مرسِلا معروفا متحدّثا بضمير المتكلّم هو أبو العلاء و مرسَلا إليه معلوما متوجَّها إليه بضمير الخطاب هو ابن القارح .

3ـ **هي رسالة جوابيّة على رسالة ابن القارح، يقول المعرّي مخبرا بوصول الرّسالة واصفا إيّاها « وصلت الرّسالة التّي بحرها بالحكم مسجور و من قراها ماجور » و يقول في آخر قسم الردّ : « وأنا اعتذر إلى مولاي الشّيخ الجليل من تأخير الإجابة »**

4ـ احتواء قسم الرّحلة على سمات جنس التّرسّل من سجع وجناس وتضمين واقتباس وإطناب في الوصف وأشعار واستطراد بغاية الإبهار وعرض البضاعة.

5 ـ إنّ العلاقة الطبيعيّة بين المُرسِل والمُرسَل إليه ـ في الرّسائل الإخوانيّة ـ علاقة ودّ وتقارب ، يروم المرسل عبر الرّسالة طيّ للمسافة المكانيّة التي تفصلهما ،تصبح الرّسالة بذلك نقطة التقاء رغم البعاد ،والنّاظر في رسالة الغفران يتبيّن جملا دعائيّة عديدة ومتنوّعة تعبّر عن هذا المعنى منه قول المُرسِل : « **يقُولُ ـ عظَم اللّهُ حظَّه من الثّوابِ** » و« **يخطُر له ـ جعل اللّه الإحسان إليه مربوبا وودّه في الأفئدة مشبوبا ـ غناء القيان بالفسطاط** »

إنّ مقوّمات الترسّل بادية في هذا الأثر الأدبيّ، فرسالة الغفران من هذا المنظور كانت امتدادا لغيرها من الرّسائل الإخوانيّة.

لكنّ الأثر بعد صفحات قد عدل عن جنس الرّسالة واستراح إلى فنّ القصّ، فكانت الرّحلة إلى العالم الآخر.

لقد كان بإمكان أبي العلاء أن يستغني عن قسم الرّحلة في الرّسالة، ولو تمّ ذلك لكانت الرّسالة أكثر وفاء للتّقاليد الأدبيّة في فنّ الترسّل، لذا فإنّ عدول أبي العلاء إلى فنّ القصّ خرق لنمط الكتابة في هذا النّوع.

ثمّ إنّ الرّسالة الإخوانيّة موطن لقاء بين المتخاطبين، وموقع تلاق واتّصال بين المتراسلين، بينما جاءت رسالة الغفران لتعمّق علاقة التّباعد والقطيعة بين المُرسِل والمُرسَل إليه، لما حوت من هزء وسخرية واستخفاف بابن القارح.

هل يمكن إذن اعتبار رسالة الغفران قصّة ؟ ذهب إلى ذلك بعض النّقاد المعاصرين أمثال طه حسين وحسين الواد، الذي عمد في كتابه "البنية القصصيّة في رسالة الغفران" إلى تطبيق أحدث نظريّات القصّة على قسم الرّحلة باعتبارها تنطلق من تقديم حالة هادئة يُدخِل عليها وجود ابن القارح نوعا من الاضطراب وتنتهي بنزوع حركة ابن القارح إلى السّكون، وإذا صحّ هذا الفهم فإنّ رحلة الغفران جاءت موافقة في بنائها للشّكل المثالي الذي حدّده "تودوروف" للرّوايات، وهو شكل يتمثّل في قيام هذه الرّوايات على حالة هادئة يُدخِل عليها عامل ما شيئا من الاضطراب، وعلى استتاب الهدوء من جديد عند تدخّل عامل ثان".

ولكنّ هذه النّظرة إلى رسالة الغفران تظلّ مبتورة لأنّها تُسقط من الاعتبار عنصرين أساسيين من مكوّناتها هما الدّيباجة والرّد.

☆☆☆☆☆

وبعد، أين تقف رسالة الغفران من هذه الأجناس الأدبيّة المختلفة ؟ هل هي رسالة إخوانيّة ؟ أم هي رسالة قصصيّة كتلك التي كان بعض البخلاء يتبادلونها ؟ أم هي شكل بدائيّ من أشكال المسرحيّة ؟ أم هي قصّة محكمة البناء أو قصّة مفكّكة لا تخضع أحداثها إلى نظام كما ذهب إلى ذلك بعض النقّاد ؟

القسم التطبيقي

تحليل نـصّ : جنّة العفاريت

فَيَرْكَبُ* بعضَ دَوَابِ الجَنَّةِ وَيَسِيرُ،فَإِذَا هُوَ بِمَدَائِنَ لَيْسَت كَمَدَائِنِ الجَنَّةِ،ولاَ عَلَيْها النُّورُ الشَّعشعانِيُّ،فَيَقُولُ لِبَعْضِ المَلاَئِكَةِ:"مَا هَذِهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟" فَيَقُولُ:" هَذِهِ جَنَّةُ العَفَارِيتِ الذِّينَ آمَنُوا بمحمّد ﷺ وذُكِرُوا في الأَحقافِ،وفِي سُورةِ الجِنِّ،وهم عَدَدٌ كَثِيرٌ،فيقولُ:"لأعدُلَنَّ إلى هؤلاء فَلَنْ أخلُوَ لديهم من أعجُوبة".

فيعُوجُ عليهم،فإذا هو بشيخٍ جالسٍ على باب مغارةٍ فيسلّم عليه،فَيُحسِنُ الرَّدَّ ويقولُ:"مَا بِكَ يا انْسِيُّ؟..."فيقولُ:"سمعتُ أنَّكُمْ جنّ مُؤمنون فَجِئْتُ أَلْتَمِسُ عندكم أَخبَارَ الجِنَّان(1)،ومَا لَعَلَّهُ لديكُم من أخبارِ المَرَدَة".

فيقُولُ الشَّيْخُ:"سلْ عَمَّا بَدا لَك "فيقولُ:" أَخْبِرنِي عن أشْعَارِ الجِنّ،فقد جمَعَ منها المرزُبانيّ** قطعةً معروفةً،فيقولُ الشَّيْخُ:"إنَّمَا ذَلِكَ هذيانٌ لا مُعتمد عليه،وهل يعرف البشرُ من النَّظيم إلاّ كما تَعرفُ البقرُ من عِلْمِ الهيئةِ ومساحةِ الأَرْضِ؟ "

فتحملُه الرَّغْبَةُ فِي الأَدَبِ أَنْ يَقُولَ لِذَلِكَ الشَّيْخِ:"أَفَتَمِلُّ عليَّ شَيْئًا مِنْ تِلْك الأَشْعَارِ؟" فيقولُ الشَّيْخُ:"فإذَا شِئْتَ أمللتُكَ ما لاَ تَسِقُهُ (2) الرِّكَابُ،ولاَ تسَعُهُ صُحُف دُنْيَاكَ".

فيَهُمُّ الشَّيْخُ- لا زَالت همّتُهُ عالية- بأن يكتتب منه.فيقولُ:"لقد شقِيتُ فِي الدَّارِ العَاجِلَةِ بِجَمْعِ الأَدَبِ،ولَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِطَائِلٍ،وإنَّمَا كنتُ أَتقرَّبُ إِلَى المُلُوكِ والسّادَاتِ فأحْتَلِبُ منهم درّ بَكِيء (3) وأجْهِدُ أَخْلاَفَ مَصُورٍ(4)،ولستُ بموفّق إن تركتُ لذّاتِ الجَنَّةِ وأقبلتُ أَنْسَخُ آدابَ الجِنِّ،ومَعِي من الأَدَبِ مَا هُو كَافٍ،لا سيّما وقَدْ شَاعَ النِّسْيَانُ فِي أَهْلِ أدَب الجَنَّةِ،فصِرتُ من أَكْثرهم رواية وأوسعِهم حفظًا،وللَّهِ الحَمْدُ".

ويقولُ لِذَلِكَ الشّيخ"ما كُنْيَتُكَ لأكرمَك بالتَّكنية؟"فيقولُ:"أبو هدرش، أولدتُ من الأولاد ما شَاءَ اللَّهُ،فهم قبائلُ،بعضُهم في النَّارِ المُوقَدَةِ وبعْضُهم في الجِنَانِ."فيقولُ:"يَا أَبَا هدرش،مَا لِي أَرَاكَ أَشْيَبَ وأَهْلُ الجَنَّةِ شَبَابٌ؟"فيقولُ:"إنَّ الإنس أُكْرِمُوا بذلكَ وأُحْرِمْنَاهُ،لأنّا أُعطينا الحولةَ(5) في الدَّارِ المَاضية، فكَانَ أَحَدُنَا إِنْ شَاءَ صَارَ حَيَّةً رقشَاءَ،وإِنْ شَاءَ صَارَ عُصْفُورًا،وإِنْ شَاءَ صَارَ حَمَامَةً،فمُنعنا التَّصوّرَ فِي الدَّارِ

الآخرة،وتُركْنَا على خَلْقنا لا نتغيَّرُ،وعُوِّضَ بَنُو آدم كَوْنَهُمْ فِيمَا حَسُنَ مِنَ الصُّور،وَكَانَ قَائلُ الإنْسِ يَقُولُ فِي الدَّارِ الدَّاهِبَةِ:"أُعطِينَا الحيلة،وأُعْطِيَ الجِنُّ الحُولة".

أبو العلاء المعرّي،رسالة الغفران. ط1/دار صادر بمصر صص293/289

الشّرح:

(1) **الجنّان** : من جمع الجنّ (2) **لا تسقه**: وسق يسق وسقا الشيء حمله وجمعه،ووسق البعير حمّلها الوسق، والمعنى المقصود:لا تحمله الإبل لثقله (3) **درّ بكيء** : لبن ناقة شحيحة (4) **أخلاف مصور**:حلمات ضرع ناقة بطيئة اللّبن (5)**الحولة** : التّحول من حال إلى حال.

الأعلام : * **فيركب** :المقصود ابن القارح.

** **المرزباني**: (297هـ- 384هـ)كاتب وراوية من أصل خرسانيّ،من مؤلّفاته"في أشعار الجنّ"الذّي يشير أبو العلاء إليه في هذا النّص.

الأسئلة:

حلّل النّص تحليلا مسترسلا مستعينا بالأسئلة التّالية:

- **ادرس فنّ القصّ في هذا النّص وابرز مدى طرافته.**
- **كيف تبدو شخصيّة ابن القارح في عالم الجنّة وفي الدّار الدّنيا؟ ماذا تستنتج من ذلك ؟**
- **ما هو موقف المعرّي من المعتقدات ومن صناعة الأدب كما يتجلّى في النّص.**

تفكيك النّص

يمكن تفكيك النّص - حسب المعنى - إلى مقطعين :

1 . **المقطع الأوّل** : من بداية النّص إلى قوله:" **فيعوج عليهم** ": اكتشاف ابن القارح جنّة العفاريت أثناء نزهته في الجنّة.

2 . **المقطع الثّاني**: بقيّة النّص: مع شيخ الجنّ،ويمكن تقسيمه بدوره إلى وحدات فرعيّة هي:

أ - من قوله " **فإذا هو بشيخ جالس** "إلى قوله : " **صحف دنياك** " رغبة ابن القارح في التّعرّف على الجنّ وأشعارهم.

ب. من قوله :" **فيهمّ الشّيخ** " إلى قوله " **والحمد للّه** " : عدول ابن القارح عن تحقيق رغبته لاكتفائه بما لديه من أدب

ج.من قوله :" **ويقول ذلك الشّيخ** " إلى آخر النّص : العدول من قضيّة أدبيّة إلى أخرى فكريّة .

التّخطيط

المقطع الأوّل

وصول ابن القارح إلى جنّة العفاريت و رغبته في التعرّف عليهم :

توفّرت في هذا المقطع الأدوات الرّوائيّة الثّلاث (السّرد والوصف والحوار) :

+ **السّرد (حكاية أفعال)**جاء من لدن سارد خفيّ مجهول،وجاء زمن روايته **الأحداث** فيها مزامنا لزمن وقوعه ،وبدا ذلك في استعمال المضارع " **فيركب، ويسير** " وذلك بغاية:

- إضفاء حركيّة على الأحداث
- إضفاء طابع الاستمراريّة عليها
- تذكير المتقبّل أنّ زمن الرّواية سابق لزمن الحكاية،خلافا للسّرد المألوف الذي يعتمد الماضي.

+ **الوصف : (حكاية احوال)**: حدّد فيه الرّاوي الإطار المكاني للأحداث" جنّة العفاريت "**وخصائصه** ،فإذا هو مختلف عن جنّة الإنس" **ليست كمدائن الجنّة ولا عليها النّور الشّعشعانيّ** "وهو ما أثار في ابن القارح الاستغراب والفضول الذي سيكون دافعا لإرادة الإطّلاع على هذه الجنّة ومعرفة خصائصها.

+ **الحوار : (حكاية اقوال)** :وكانت بين ابن القارح وأحد الملائكة الذي أرشد البطل إلى جنّة العفاريت،وللحوار وظائف عديدة أهمّها :

تقديم الشّخوص :

ابن القارح : بدا في هذه الوحدة شخصيّة رئيسيّة ،ويبدو أنّه كان كذلك قبل النّص أيضا بدليل أداة الاستئناف الفاء " فيركب "والواو "ويركب ..." بدا ابن القارح مستخبرا ، محبّا للمعرفة والاطّلاع إلى حدّ الفضول:

أ - التنقّل في الجنّة من مكان إلى آخر مدفوعا بهاجس الاطّلاع وحبّ المعرفة .

ب ـ السّؤال عن هويّة المكان : " **ما هذه ؟** "

ج ـ الإصرار على العروج بتوظيف لام التّوكيد ونون التّوكيد الثّقيلة"**لأعدلنّ إلى هؤلاء** "

د ـ التّعجيل بتنفيذ ما قرّر " (ف) يعوج عليهم "

أحد الملائكة : شخصيّة من عالم الغيب، بدا عليما:

ـ بخصائص الجنّة

ـ بعالم بالدّنيا والرّسول والقرآن وسورة الأحقاف...

⇦ شخصيّة مساعدة، أرشد ابن القارح إلى مبتغاه.

←عالم عجيب

المقطع الثّاني

مع شيخ الجنّ : ويمكن تقسيمه بدوره إلى وحدات فرعيّة :

الوحدة الأولى : رغبة ابن القارح في التّعرّف على الجنّ وأشعارهم :

تكوّنت الوحدة من :

1 ـ **سرد ووصف** : وافتتحت بـ" **إذا** " وتفيد المفاجأة ،لقد فوجئ ابن القارح بشيخ جالس أمام مغارة،ولعلّ هذه المفاجأة وليدة وجود حواجز في الجنّة تحجب الرّؤى: **مثل الأشجار والبناءات والكثبان ← يضفي على الأحداث بعض الحيويّة** وحدّد الوصف **الإطار المكاني وزاده تدقيقا وعرّفنا على شخصيّة جديدة سيكون لها دور في دفع الأحداث هي شيخ الجنّ** ، .وكان جالسا أمام باب مغارة .

الحركة والسّكون: يخضع بناء رحلة الغفران إلى ظاهرة التّداول بين الحركة والسّكون بين ابن القارح وبقيّة الشّخوص،فإذا تحرّكوا هم سكن هو،وإذا تحرّك هو سكنوا هم وثبتوا في المكان ،لذا وجدنا في هذا المقطع ابن القارح متحرّكا وشيخ الجنّ ثابتا .

2 ـ **حكاية الأقوال** : وكان بين إنسيّ (ابن القارح)وشيخ الجنّ .

☆ابن القارح : أكّدت هذه الوحدة ملامح ابن القارح كما بدت في الوحدة الأولى ،فبدا طلعة،محبّا للمعرفة " **جئت ألتمس..أخبرني..أفتُملّ...**"⇦ يأخذ

الحكمة حيث يجدها ولو من أفواه الجنّ. كما بدا عالما بأخبار الأدب ورواته ومنهم المرزباني وغيره.

☆ شيخ الجنّ : عارف عليم ،يحسن الرّد والإجابة ،ويُتقن فنّ الكلام ،واثق من علمه **" سل ما بدا لك.. فإذا شئتَ أمللتك ما لا تسقه الرّكاب ولا تسعه صحف دنياك "** .. ساخر بجهل النّاس وعدم إلمامهم بفنّ الشّعر ،وقد وظّف في ذلك التّأكيد :**" إنّما ذلك .."** والاستفهام :**" وهل يعرف البشر من النّظيم إلاّ كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض "** ⇦ هازئ بالنّاس وبابن القارح ،لكنّه لا يبخل عليه بالإجابة ⇦ شخصيّة مساعدة.

❖**القضايا المطروحة** : حمّل المعرّي شيخ الجنّ رأيه في ظاهرة " شعر الجنّ " ولعلّه اختاره شيخا ليكون ذا مصداقية ودراية وخبرة وعلم ،فسخر أبو العلاء بذلك من بعض الخرافات الرّائجة في ذلك العصر عن أشعار الجنّ وادّعاء المرزبانيّ أنّه جمع منها قطعة صالحة،وقد جاء موقف أبي العلاء جليّا واضحا،وصريحا صارما في قول شيخ الجنّ مؤكّدا :**"إنّما ذلك هذيان لا معتمد عليه"**.

الوحدة الثّانية : العدول من قضيّة أدبيّة إلى أخرى **فكريّة** .

ب ـ من قوله :" **فيهمّ الشّيخ** " **إلى قوله** " **والحمد للّه** " : عدول ابن القارح عن تحقيق رغبته لاكتفائه بما لديه من أدب

❖ وجاءت كلّها منسوبة إلى ابن القارح **في حوار هو أشبه بالمناجاة** أو المونولوج،يقرّر فيه العدول عن استنساخ أدب الجنّ بعد **أن استهواه ذلك" لقد شقيتُ في الدّار العاجلة بجمع الأدب ،ولم أحْظَ منه بطائل"، هذه الفقرة إذن ضرب** من استبطان نفسيّة ابن القارح وقراءة ما يجول في نفسه وخاطره،فتسلّط الضّوء على جوانب خفيّة من فكره ونفسه،فإذا هو:

- في الدّنيا: كان أديبا متكسّبا ،وظّف شعره"**للتقرّب إلى الرّؤساء**" وذوي الجاه،ولكنّه كان بضاعة كاسدة، فشقي به"**احتلب به درّ بكي**".
- في الجنّة: دعيّ مغرور،الأدب بالنّسبة إليه"يُتحلّى "به،لا يقتنى من أجل ذاته، وتجلّى ذلك في تواتر اسم التّفضيل"**فصرت من أكثرهم(أهل الجنّة) رواية وأوسعهم حفظا**".

- انتهازيّ لا يطلب الأدب حبّا فيه وولعا به، بل باعتباره وسيلة لتحقيق أغراض ماديّة، ما أن أدرك أنّ الأدب غيرُ مجد في الجنّة حتّى قرّر نبذه والتّنكّر له"**لست بموفّق إن تركت لذّات الجنّة وأقبلت أنتسخ آداب الجنّ**".

❖**<u>علاقة الرّاوي بالبطل</u>**: من التقنيات الطريفة التّي عمد إليها أبو العلاء لفضح نفسيّة ابن القارح والهزء به جعله يعترف بأخطائه ويقرّ بنقائصه.

موقف المعرّي من ظاهرة التّكسب بالشّعر في عصره.

ب ـ من قوله :" **فيهمّ الشّيخ** " إلى قوله " **والحمد للّه** " : عدول ابن القارح عن تحقيق رغبته لاكتفائه بما لديه من أدب.

<u>الوحدة الثّالثة</u> : العدول من قضيّة أدبيّة إلى أخرى فكريّة .

حوار بين ابن القارح وشيخ الجنّ في قضيّة التّحوّل:

ظلّ ابن القارح وفيّا للصورة التّي بدا عليها في المقطعين السّابقين، طلعة، محبّا للمعرفة ← تواتر الاستفهام : " **ما كنيتك؟مالي أراك أشيب؟**.

←إرادة الاستخبار + تغيير مجرى الحوار تأكيدا لعدوله عن تحقيق رغبته الأولى:عدول عن المشغل الأدبي إلى مشغل فكريّ،هو قضيّة التّعويض:

لقد كان أبو هدرش في الدّنيا قادرا على التّشكّل الشّكل الذّي يريد"أُعطي الحولة"، إن شاء صار حيّة رقشاء،وإن شاء صار عصفورا ،وإن شاء صار حمامة وفي الآخرة حُرم ذلك "منعنا التّصوّر...وتركنا على خلقنا لا نتغيّر".

أمّا البشر وقد حرموا في الدّنيا التّحوّل، عوّضهم اللّه عن ذلك، فبعثوا في أحسن تقويم"**وعوّض بنو آدم كونهم فيما حسن من الصّور**"فالأعشى قد صار عشاه حورا معروفا ، وزهير بعث كالزّهرة الجنيّة ،وعوران قيس صاروا من أجمل النّاس عيونا وأحدّهم بصرا ، وشمل التّعويض حمدونة وتوفيق السّوداء وكلّ من غُفِر له ،باستثناء الحطيئة وابن القارح الذّي مات شيخا وبعث طاعنا في السنّ.

← سخر المعرّي من:

- معتقد التعويض الذّي تفشّى في ذلك العصر.
- الاعتقاد في قدرة الجنّ على التّحول والتّشكّل.

جاء هذا النّص في أسلوب قصصيّ خياليّ، فنهض على:

- الاستخبار والإخبار.
- الرّغبة وعرقلتها وتحقيقها.
- توفّرت في هذا النّص حكاية الأفعال والأحوال والأقوال، وإن طغت حركة الأقوال على غيرها طغيان الحركة الفكريّة على الحركة العضويّة ⇦ كادت تغيب فيه أغلب عناصر القصّ من تشويق وإيهام وعقدة وحلّ، ولعلّ وجه الطرافة يتمثّل في هذا العالم العجيب الذّي جمع فيه أبو العلاء بين الإنس والملائكة والجنّ، وفي هذه الطّريقة التّي توسّل فيها بالعالم الآخر للسخرية من ابن القارح ولطرح قضايا متنوّعة، بعضها أدبيّ وبعضها اجتماعيّ.

الخاتمة: تداخل الفنّ القصصيّ مع العجيب مع سعة القضايا ببعديها الواقعيّ والماورائي، وهو ما جعل رسالة الغفران تستعصي على الحصر وتأبى الاندراج في فنّ أدبيّ بعينه.

للتّدرّب

نصّ الموضوع: قيل: إنّ حكاية الغفران نصّ عجيب بقدر ما فيه من لذّة القصّ فيه من لذعة النّقد..

توسّع في هذا القول باعتماد شواهد دقيقة من قسم الرّحلة

بكالوريا 1995

تحليل نصّ : من الخنساء إلى إبليس

فَيَخلفُهُ * ويمضي، فَإِذَا هوَ بامرأَةٍ في أَقْصَى الجَنَّةِ منَ المطّلع إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا الخَنْسَاءُ السّلمية**أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى صَخْرٍ*** فاطلّعتُ فَرَأَيْتُهُ كَالجَبَلِ الشَّامِخِ والنَّارُ تَضْطَرِمُ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ لِي: لَقَدْ صَحَّ مَزعمُكِ فِيَّ يعنِي قَوْلِي:

وإِنَّ صَخْرًا لَتَأتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ❖❖ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فَيَطّلِعُ فَيَرَى إبليس- عَنَهُ اللَّهُ- وَهُوَ يَضْطَرِبُ فِي أَغْلَالِ السَّلاَسِلِ ومَقَامِعِ(1) الحَدِيدِ تَأْخُذُهُ مِنْ أَيدْي الزَّبَانِيَة (2) فَيَقُولُ: الحَمْدُ للَّهِ الذِّي أَمْكَنَ مِنْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّ أَوْلِيَائِهِ! لَقَدْ أهلكت مِنْ بَنِي آدَمَ طَوَائِفَ لاَ يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلاَّ اللَّهُ. فَيَقُولُ: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ:أَنَا فُلانُ بنُ فُلان من أَهْلِ حلب، كَانَت صِنَاعَتِي الأَدَبَ، أَتَقرَّبُ بِهَا إِلَى المُلُوكِ فَيَقُولُ: بئسَ الصنَاعَةُ إِنَّهَا تَهبُ غُفَّةً (3) منَ العَيْشِ لاَ يَتَّسِعُ بها العيَالُ وإِنَّها لمزلَّةٌ بالقَدَمِ وكَمْ أَهْلَكَتْ مثلكَ! فَهَنِيئًا لَكَ إِذْ نَجَوْتَ فَأَوْلَى لكَ ثُمَّ أَوْلَى! وَ إِنَّ لِي إِلَيْكَ لَحَاجَةً فَإِنْ قَضَيْتَها شَكَرْتُكَ يدَ المَنُونُ(4) فيقُولُ: إِنِّي لاَ أَقْدرُ لَكَ على نَفْع فَإِنَّ الآيَةَ سبقَتْ فِي أَهْلِ النَّارِ أَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

فَيَقُولُ:إِنِّي لا أَسْأَلُكَ فِي شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ **ولكنْ أَسْأَلُكَ** عَنْ خَبَرٍ تُخْبرنيه:إِنَّ الخَمْرَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنيَا وأُحِلَّتْ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ، فَهَلْ يَفْعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ بالوِلدانِ المُخَلَّدِين فِعلَ أهل القَرَيَاتِ(5)؟ فيقولُ: عَلَيْكَ البَهْلَةُ! (6) أَمَا شَغَلَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ؟ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

أبو العلاء المعرّي رسالة الغفران تحقيق بنت الشّاطئ

دار المعارف ط.7 صص 308- 309

الشّرح: (1) **المقامع**: سياط تعمل من حديد رؤوسها معوجّة (2) **الزّبانية**: عند العرب: الشُّرط وكلّه من الدّفع وسمّي بعض الملائكة لدفعهم أهل النّار إليها (3) **غُفَّة**: اسم تغفّت الدّابة: أصابت غفّة وهو ما تتناوله بفيها على عجلة (4) **المَنُون**: صيغة مبالغة بمعنى كثير الامتنان (5) **أهل القَرَيات**: يريد قرى قوم لوط (6) **البهْلة**: اللّعنة.

الأعلام : * المقصود به هو الحطيئة العبسيّ ** **الخنساءُ السُلميّة**: شاعرة مخضرمة أدركت الإسلام واعتنقته، أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها صخر ومعاوية وكان قد قتلا في الجاهليّة. *** **صخر**: هو أخو الخنساء كان من فرسان بني سليم وغزاتهم، جرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة، فمرض قريبا من السّنة وتوفّي سنة 10 ق هـ.

المطلوب:

حلّل النّص تحليلا مسترسلا مستعينا بما يلي:

- ضع النّص في إطاره من الرّحلة باعتماد بنية المكان.
- في هذا النّص موقف من صناعة الأدب، عيّن مواطنه وبيّن منطلقاته.
- كيف تبدو شخصيّة ابن القارح وإبليس في هذا النّص؟ ومن أين استوحى أبو العلاء صورة إبليس هذه؟
- انتهى حوار إبليس مع ابن القارح بطرح مشكلة منطقيّة تأسّست على القياس، ادرسها.

التّخطيط

يمكن تقسيم هذا النّص **حسب الأشخاص إلى مقطعين** :

المقطع الأوّل: مع الخنساء

وجاء حكاية أحوال و أفعال(سردا ووصفا) وحكاية أقوال(حوارا).

السّرد والوصف: جاءت الأفعال مضارعة ⇦ التخيّل كما وجدنا عنصر مفاجأة "**إذا**' لعلّه نتيجة تضاريس الجنّة.

❀ حوت هذه الوحدة قرينة نصّية جليّة تحدّد موضع الأحداث هي قول الرّاوي"**أقصى الجنّة، قريبة من المطّلع إلى النّار**" وهي تحيل على وصول "ابن القارح"- وقد انطلق في نزهة في الجنان- إلى أقصى الجنّة، فابن القارح لا يزال في هذا النّص وقبله متحرّكا إذ هو"**يمضي**" و"**يخلّفه**" وفاعلا إذ هو"**يقول**" و"**يطلّع**"، لكنّ الجدير بالذّكر أنّ هذه الحركة بدأت تؤول إلى الهدنة والفتور وذلك جليّ من خلال طغيان حكاية الأقوال في هذا النّص على حكاية الأفعال.

أبعاد هذه الوحدة:

1- البعد الأدبي: موقف المعرّي من الكذب في الشّعر.

2- البعد الغيبي: هل للجنّة حدود "أقصى الجنّة"؟ **ألا يسلبها ذلك الكمال؟**

المقطع الثاني : مع إبليس

افتتح سردا : وقد تخلّص المعرّي من الجنّة إلى جهنّم بحرف "ف": "**فيطلّع فيرى**"، دون أن يعلّل الرّاوي سبب الالتفات أو الانعطاف ← بناء انضماميّ.

حوت اللّوحة لقاء بين إبليس وابن القارح وجاءت:

❖**حكاية أحوال**: وصفت إبليس يتعذّب" **يَضْطَرِبُ فِي الأَغْلاَلِ والسَّلاَسِلِ، تأخذُهُ من أَيْدِي الزَّبَانِيةِ**" وهي صورة تحاكي صور العذاب كما جاءت في القرآن الكريم.

❖**حكاية أقوال**: وكانت بين ابن القارح وإبليس، كشفت عن نفسيّة الشّخصين وآرائهما ومواقفهما **فإذا هما على طرفي نقيض:**

☆ **ابن القارح** : انقلب دوره بالمقارنة إلى الوحدة السّابقة، فبعد أن كان مستخبرا والخنساء مخبرة أصبح مخبرا وإبليس مستخبرا، وقد بدا "ابن القارح":

❖ شموتا، متشفيّا، متلذّذا بعذاب إبليس، معلّلا ذلك تعليلا ضمنيّا بتديّنه وغيرته على المؤمنين وتجلّى ذلك في طبيعة الألفاظ التّي استعملها منها "**الحمد للّه، يا عدوّ اللّه وعدوّ أوليائه**".

❖عارفا بالقرآن حافظا له عاملا به ،فقد رفض الاستجابة لطلب إبليس قائلا:" **إنّي لاَ أَقْدُرُ لَكَ على نَفْعٍ فَإنَّ الآيَةَ سبقَتْ فِي أَهْلِ النَّارِ أَعْنِي قَولَهُ تَعَالَى**﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ وإن كان لم يعمل به في الدّنيا ويوم الحشر.

❖ متسرّعا مندفعا عديم الصّبر والتّروي، لم ينصت إلى آخر طلب إبليس وعجّل بإجابته، وهو ما أوقعه في موقف حرج يثير الضّحك.

❖تقليديّ الثقافة نقليّها بدا عاجزا عن مقارعة الحجّة بالحجّة، لمّا طرح إبليس قضيّة ذهنيّة تعتمد القياس والمنطق والحجّة العقليّة، هرب وراء شتم إبليس وسبّه وإظهار

الحوار: وكان الحوار في هذه الوحدة تارة بين"ابن القارح و" الخنساء"، وطورا بين " الخنساء" وأخيها "صخر ".

الأشخاص والعلاقات فيما بينها:

❖ الخنساء : ظلّت محبّة لأخيها وفيّة له، انتقلت من الفردوس- وهي الصحابيّة- إلى أقصى الجنّة قريبا من المطلع إلى النّار لتزور صخرا في السّعير يحترق.

❖ ابن القارح: بدا - كعادته- فضوليّا أوّل ما لمح الخنساء سألها "**من أنتِ؟**".

❖ صخر: بدا لائما لأخته معاتبا لها" **لقد صحّ مزعمك فيّ**".

1 - العلاقة بين الخنساء وابن القارح علاقة استخبار.

2 - العلاقة بين الخنساء وصخر: لئن بدت العلاقة بين الأخوين علاقة محبّة ووفاء فإنّ ذلك لم يكن إلاّ من لدن الخنساء لأنّ صخرا بدا معاتبا لأخته لائما لها غاضبا عليها، محمّلا إيّاها بعض مسؤوليّة ما هو فيه من عذاب" **لقد صحّ مَزعَمُكِ فِيَّ**" وللمزعم دلالة سلبيّة لأنّه يوحي بالادّعاء والكذب، وهو يقصد بذلك رثاءها إيّاه بقولها:

وإنَّ صَخْرًا لتَأتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ❖❖❖ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فالخنساء في رثائها هذا قد بالغت فكذبت، ولعلّها لو لم تبالغ لما دخل أخوها النّار، بل **لعلّها كانت ترافقه إليها لو لم تكن من الصّحابيّات، هكذا شاء** المعرّي، **ليؤكّد على موقفه من الكذب في الشّعر، مدحا كان أو رثاء**، فالكذب في الشّعر وَبَالٌ على القائل **والمقُول فيه. ألم يجعل أبو العلاء** "الزّبرقان بن بدر" ينتفع بهجاء "الحطيئة" بينما لم ينتفع غيره **بمديحه؟**

الخيال في هذا المقطع: إضافة إلى تصوّر أحداث **في أقصى** الجنّة، نجد للخيال تجليّات أخرى منها:

- خرق الحدود الزّمانيّة والجمع بين شخوص ينتمون إلى عصور متباينة(صخر جاهليّ/ الخنساء مخضرمة/ وابن القارح من القرن الخامس).
- تصوّر صخر على هيئة جبل شامخ والنّار تضطرم في رأسه وذلك تجسيدا لقول أخته فيه:" **كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ**".
- معرفة السّابق باللاّحق: من ذلك إنطاق صخر بما رثته به أخته.

الشّماتة فيه " **عَلَيْكَ البهْلَةُ! أَمَا شَغَلَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ؟**" ثمّ أردف ذلك بحجّة نقليّة هي قوله تعالى:"**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**".

❖عرّف نفسه بادئ الأمر بأنّه"فلان بن فلان" وكأنّه نكرة لا أصل له ولا نسب، لكنّه سرعان ما استدرك فعرّف بنفسه بأنّه صانع أدب واختزل وظيفة الأدب في خدمة "**الملوك والسّادات**" والتّقرّب إليهم، وبذلك يجعل أبو العلاء ابن القارح شاهدا على نفسه معترفا في ضرب من الاعتداد المشين.

☆**إبليس**: بدا عارفا بالأدب ناقدا له ولوظيفته كما فهمها ابن القارح.

كما بدا - رغم العذاب- راضيا بحكم اللّه صابرا، حاضر الذّهن، مفكّرا، اهتماماته أسمى من اهتمامات ابن القارح وأبعد عن النّزوة، منطقيّ التّفكير، عقلانيّ، تجلّى ذلك في السؤال الذّي طرحه على ابن القارح والمتضمّن مشكلة منطقيّة تأسّست على القياس، وفي هذا الحوار يبدو جليّا الفرق بين الشّخصيتين، فابن القارح لا يهمّه من الجنّة إلاّ ملذّاتها أمّا إبليس فاهتماماته عقليّة، يبدو أنّ عذاب النّار هيّن بالمقارنة إلى العذاب الفكريّ الذّي يعنّيه ويشقيه وهو عذاب وليد المنطق والقياس ويتمثّل في الإشكال التّالي:

- **المقدّمة الكبرى**: إنّ الخمر حُرّمت عليكم في الدّنيا
- **المقدّمة الصغرى**:إنّ الخمر أُحلّت في الآخرة
- **النّتيجة**: هل يُباح اللّواط في الجنّة بالقياس إلى الخمر؟.

وإزاء معقوليّة الطّرح لا يجد ابن القارح من إجابة سوى سبّ إبليس ولعنه.

كما أنطق أبو العلاء إبليس برأيه في الأدب ووظيفته قائلا"**بئس الصّناعة...وكم أهلكت مثلك**" فلئن أهلك شرّ إبليس طوائف من البشر فإنّ الشّعر قد أهلك طوائف من الشّعراء، من ثمّ فإنّ الشّعر والشرّ يلتقيان في ثلثيهما(شعر= شرّ)،فيقع ضرب من التّطابق بين ابن القارح وإبليس.

يتخفّى أبو العلاء وراء الفواعل في هذا النّص وينطق إبليس برأيه في طبيعة الحياة في العالم الآخر.

تحليل نـص : مـع الأخطل التّغلبيّ

...وإذَا هو (1) برجُل يَتَضوَّرُ(2) فَيَقُولُ: مَنْ هَذَا؟ فيُقال: الأخطلُ التّغلبيّ*، فيقولُ له: مازالت صِفَتُكَ للخَمْرِ، حتّى غَادَرتْكَ أُكُلا للجَمْرِ، كَمْ طربَت السَّادَاتُ على قولكَ:

فَصَبُّوا عُقَارًا فِي الإنَاءِ كأنَّها إذَا لَمَحوها، جذْوَةٌ تَتَآكَلُ

فَيَقُولُ(3)- أحَلَّ اللّهُ الهلكةَ بِمُبْغِضِيهِ: أَخْطأتَ في أَمْرَيْنِ، جَاءَ الإسْلاَمُ فَعَجَزْتَ أَنْ تَدخُلَ فيهِ، ولزمتَ أَخْلاقَ سفيه، وَ عَاشرتَ يزيد بنَ معاويه** وأَطَعْتَ نَفْسَكَ الغَاوية، وآثَرْتَ مَا فَنِيَ عَلَى بَاقٍ، فَكَيْفَ لَكَ بالإبَاقِ(4)؟

فَيَزْفِرُ الأخطلُ زَفْرَةً تعْجَبُ لها الزَّبَانيَّةُ ويَقُولُ: آه علَى أيَّام يزيد، أَمْزَحُ مَعَهُ مَزْحَ خَليل، فَيحتملني احتِمَالَ الجليل، وكَمْ أَلْبَسَنِي مِنْ مَوْشيٍّ، أَسْحَبُهُ في البُكرة أو العَشيّ، وَكَأَنِّي بالقِيَانِ الصّادحةِ بَيْنَ يَدَيْهِ تُغنِّيهِ بِقَوْلِهِ:

وَقَفَتْ لِلبَدْرِ تَرْقُبُهُ فَإذَا بالبَدْرِ قَدْ طَلَعَا

وَلَقَدْ فَاكَهْتُهُ فِي بعضِ **الأيَّامِ وأَنَا سَكْرَانُ مُلْتَخٌّ** (5)، **فَمَا زَادَنِي** عنِ ابتسامٍ، واهْتَزَّ للصِّلَةِ اهتزازَ الحُسَام.

فيقولُ- أدَامَ اللّهُ تمكينهُ - **مِنْ ثَمَّ أُتيتَ** (6)، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِك الرَّجُلَ عَاندٌ(7)، وَفِي جِبالِ المعْصِبة سانِدٌ(8)؟...

وإبْلِيس يَسْمَعُ ذَلِكَ **الخِطَابَ كُلَّهُ** فَيَقُولُ للزّبانية: مَارَأَيْتُ أَعْجَزَ مِنْكُم إخْوانَ مالِك ***أَلاَ تَسْمَعُونَ هَذَا المُتَكلِّمَ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ، فَلَوْ أن فيكُمْ صَاحِبَ نَحِيزَةٍ (9) قَوِيَّة لَوَثَبَ وَثْبَةً حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ فَيَجْذِبَهُ إلى سَقر، فَيَقُولُونَ: لَيْسَ لَنَا عَلَى أَهْلِ الجَنَّة سَبيلٌ ".

فَإذَا سَمِعَ مَا يَقُولُ إبْليس، أَخَذَ في شَتْمِهِ ولَعْنِهِ وإظْهَارِ الشَّماتَةِ بِهِ، فيقولُ - عليه اللَّعْنَةُ- : أَ لَمْ تُنْهَوْا عَنِ الشّماتِ يَا بَنِي آدم؟ ولَكِنَّكُمْ، بِحَمْدِ اللّهِ، مَا زُجِرتُمْ عَن شَيْءٍ إلاَّ ورَكِبتُمُوهُ. فَيَقُولُ- وَاصَلَ اللّهُ الإحْسَانَ إلَيْهِ- أَنْتَ بَدَأْتَ آدَمَ بِالشَّمَاتَةِ والبَادِئُ أَظْلَمُ.

أبو العلاء المعرّي- رسالة الغفران ط.دار صادر.صص 189- 193

الأعلام:

* **الأخطل**: شاعر نصراني، عاش في القرن الأوّل للهجرة، جالس يزيد بن معاويّة، وعرف بوصفه الخمرة. **يزيد بن معاوية**: تولّى الخلافة بعد أبيه معاوية بن أبي سفيان كان مولعا بالخمرة والنّساء. ***مالك**: هو خازن النّار وإخوانه زبانية جهنّم.

الشرح:

(1) **هو**: ابن القارح. (2) **يتضوّر**: يتلوّى من وجع ضرب أو جوع(3) **فيقول**: القول مازال لابن القارح. (4) **الإياق**: الهروب والنّجاة. (5) **ملتخّ**: طافح من السكر. (6) **أتيت**: من أتي من جهة كذا أي أُصيبَ. (7)**عاند**: مخالف للحقّ وهو عالم به.(8) **ساند**: مُرْتَقٍ. (9)**نحيزة**: النّحيزة الطّبيعة، يُقَال هو كريم النّحيزة.

المطلوب :

حلّل النصّ تحليلا مسترسلا مستعينا بالأسئلة التّالية:

- ادرس خصائص الشخصيات في النص وبيّن الأسس التّي انبنت عليها أقوالها وأفعالها.
- بيّن تداخل البعدين الواقعي والخيالي في خلال النصّ ، واستخلص قيمة ذلك قصصيّا.
- حدّد القضايا التّي يطرحها النّص وموقف الكاتب منها.

التّخطيط

المقدمة : يتكوّن قسم الرحلة في رسالة الغفران من قسمين، قسم الجنّة وهو طويل نسبيّا فيه طاف ابن القارح أنحاء الفردوس متجوّلا عاقدا مجالس الأدب ومآدب الأنس والمنادمة وقسم الجحيم وهو قصير بالمقارنة إلى قسم النّعيم وقد جاء لوحات تكاد تكون منفصلة تصوّر باقتضاب ما يعانيه نزلاء جهنّم من عذاب، ومن هذا القسم أخذ هذا النّص ويتكوّن من لوحتين جاءت الأولى حوارا بين ابن القارح والأخطل والثانية بين ابن القارح وإبليس حاول من خلاله أبو العلاء طرح قضايا عديدة بأسلوب متميّز امتزج فيه الواقع بالخيال فما هي هذه القضايا التّي أثارها المعرّي في النّص؟ وما هي تجليّات الواقع والخيال فيه؟ ثمّ ما هي خصائص شخصيات النّص وما هي الأسس التّي انبنت عليها أقوالها وأفعالها؟

الجوهر :

المقطع الأوّل: ابن القارح والأخطل:

✪ **ابن القارح**: بدا حافظا لشعر الأخطل ناقدا له، عارفا بمضامينه وبقيمته عند معاصريه **"مازالت صفتك للخمر" "كم طربت السادات على قولك"**.

- مازجا في حُكْمِهِ على الأخطل بين المعيار الأدبي " **كم طربت السادات على قولك:**

فصبّوا عقارا في الإناء كأنّها إذ لمحوها جذوة تتآكّل

والمعيار الأخلاقي :" **جاء الإسلام فعجزت أن تدخل فيه...لزمت أخلاق سفيه**".

- شديد في محاسبة الأخطل، وبدت هذه الشدّة في:

+ صيغة الخطاب الجازم: **أخطأت، عجزت، لزمت.**

+ الأسلوب الإنشائي: الاستفهام"**أما علمت...**"← الاتهام بالجهل

- حقود شموت،متشفّ،بدا سعيدا لوجود الأخطل في النّار واعتبر ذلك نتيجة طبيعية لسلوكه في الدنيا وإدمانه على الخمر.

- حاول أن يبدو في صورة المتدين شديد الورع فلام الأخطل على :

أ - إدمانه على الخمر.

ب - عدم اعتناقه الإسلام.

ج - **ملازمته ليزيد "السفيه" وإيثاره ما فني على باق.**

✪الأخطل:

<u>الملامح الأدبيّة</u> :

- مجيد في وصف الخمر: وبدا ذلك في **إشارة ابن القارح إلى شيوع أشعار الأخطل** في النّاس ووصف تأثيرها فيهم:" **كم طربت السادات على قولك...**"

<u>الملامح الأخلاقيّة</u>:

<u>في الدّنيا</u> : - ماجن، **مقبل على اللّذات:**

أ- كثير من أشعاره قيل في وصف **الخمر.**

ب- ضعيف أمام نفسه منساق وراء **أهوائه"أطعت نفسك الغاوية...**"

ج- لازم يزيد بن معاوية وهو على **حدّ تعبير ابن القارح "سفيه".**

<u>في الآخرة</u>:

أ- صبور: يتضوّر في **صمت ويحاول** أن يداري ألم السعير.

ب - وفيٌّ لولي نعمته: وبدا ذلك في:

- التحسر على أيّام يزيد الماجنة **بالفعل:** الزفرة وبالقول:" **آه على أيّام يزيد**".

- الإطناب في الحديث عن فترة معاشرته يزيد وهو ما يعكس شوقا وتحرّقا حقيقيين.

صدرت أقوال الأخطل ومواقفه عن تمسك بالمبادئ، ولعلّ في ذلك التأكيد على الوفاء، رغم ما ترتّب عنه من عذاب تلميحا إلى تنكّر ابن القارح لمولاه وولي نعمته أبي القاسم المغربي وانقلابه عليه وهجائه له.

المقطع الثّاني : ابن القارح وإبليس :

✪**ابن القارح**: شموت : أكّد إبليس صفة الشّماتة التي اتّصف بها ابن القارح في المقطع الأوّل بأسلوب إنشائيّ هو الاستفهام الإنكاري "**ألم تنهوا عن الشّمات يا بني آدم**"، كما تبدو في قول الرّاوي : " **فإذا سمع ما يقول إبليس أخذ في شتمه ولعنه وإظهار الشّماتة به .**

✪ **إبليس**:

* كاره الفضول :"**ألا تسمعون هذا المتكلّم بما لا يعنيه**"
* كاره الشّماتة " **ألم تنهوا عن الشّمات**"..

مؤمن بالله حامد له رغم العذاب : " ولكنّكم- **بحمد الله** - ما زجرتم...".

⇦ تتوفر فيه صفات المسلم أكثر من توفّرها في شخصية ابن القارح،

* مجادل قوي الحجّة : ردّ على خصمه ابن القارح باستخدام حجته" **الم تنهوا عن الشمات...**"
* عالم بأمور الدّين عارف **بما أمر به الله عباده عامل به.**

*ظلّ إبليس **على ما كان عليه في الدنيا وسواسا محرّضا. ويبدو ذلك في إغراء** الزبانيّة وتحريضهم **على أن يثبوا** على ابن القارح وثبة يجذبونه بها **إلى سقر.**

* ساخر من طبيعة **البشر المركبّة** على العصيان والتمرّد وبدا ذلك **في:**

أ- **نسبة البشر** إلى آدم الذّي عصى ربّه.

ب- **الاستفهام الإنكاري**: "**ألم تنهوا ؟!**".

ظلّ إبليس خبيثا وسواسا في جداله مستندا إلى المنطق والعقل ولعلّ المضحك في **موقف** إبليس هذا هو المفارقة بين صورة إبليس في أذهاننا باعتباره رمز الشرّ وبين ما يدعو إليه (**إبليس** ينهى عن المنكر).

من كلّ ذلك يمكن القول أنّ العلاقة بين الشخصيّات الثلاث قد تميّزت بالقطيعة.

1) - بين ابن القارح والأخطل: قطيعة أخلاقية: علاقة مؤمن شديد الإيمان بكافر أدرك الإسلام ورفض اعتناقه، هي علاقة تقيّ ورع يؤنب سكيرا ماجنا ويوبخه، ولعلّ أبا العلاء أراد بذلك غمز ابن القارح والتلميح إلى ماضيه الماجن حيث "**أمرج نفسه في الأغراض الموثميّة والأعراض البهيميّة.**"

كما نكتشف من خلال تحليل الأشخاص وعلاقاتها فيما بينها جانبا هامّا من جوانب شخصيّة ابن القارح المتأدّب والمنهج الذّي توخاه في نقد مخاطبه فإذا به لا منهج له في النّقد، يخلط بين ما هو أدبيّ وما هو أخلاقيّ.

وغاية المعرّي من إظهار ابن القارح في هذه الصورة المزرية هي السّخرية منه، وتتأكّد هذه السّخرية في الجمل الاعتراضيّة الدعائيّة التّي يردف بها أبو العلاء اسم ابن القارح وغالبا ما يكون مضمون هذه الأدعية مفارقا لمضمون السياق.

2) **ابن القارح وإبليس**: قطيعة منطقيّة: بقدر ما بدا ابن القارح مندفعا **متحمسا إلى** حدّ التّهور بدا إبليس منطقيّا في حججه عقلانيّا في تفكيره.

أبعاد الوحدة :

ا - أبعاد أدبيّة:

أ- مقاييس نقد الشّعر ومنطلقاته :**الخلط بين ما يقوله الشّاعر وبين سلوكه** : المقياس أدبيّ أخلاقيّ.

ب- علاقة الشّاعر بالسلطان: بدا **موقف المعرّي من هذه العلاقة** من خلال تعابير عديدة مثل "**لزمت أخلاق سفيه**" "**أطعت نفسك الغاوية**"... وموقف المعرّي من وضع الشّاعر نفسه في خدمة السلطان **معروف في رسالة الغفران** .

2- **أبعاد سياسيّة**: وتتمثّل **خاصّة في سلوك** الساسة وانصرافهم عن شؤون الرعيّة إلى القصف والعزف وبدت **طبيعة حياة البذخ** هذه على لسان الأخطل:" **كم البسني من موشي...آه على أيّام يزيد أصحبه في البكرة والعشي**" وهما لفظتان في ظاهرهما تحدّدان الزمن لا غير **ولكنّهما في** الحقيقة مرتبطتان بفترتين من اليوم تخصّصان لاحتساء الخمر وتسميّ **خمرة الصباح**"صبوحا"وخمرة المساء"غبوقا".

3- **أبعاد أخلاقيّة / دينيّة** : **حوى** هذا النص مواقف طريفة جاءت نتيجة تناقض ابن القارح بين الفعل والقول.

فابن القارح يحاسب الأخطل حسابا عسيرا على مجونه واستهتاره في الدنيا ولم يكن هو أقلّ مجونا منه باعترافه .

لام ابن القارح الأخطل على ملازمته يزيد ومدحه له وهو نفسه قد لازم آل المغربي وخدمهم وأشاد بفضائلهم ومدحهم بل وتنكّر لهم فيما بعد.

فسلوك ابن القارح في الدنيا إذن لم يكن يختلف عن سلوك الأخطل إن لم يكن أشدّ فضاعة حسب مقياس ابن القارح نفسه - ولكنّ مصيرهما لم يكن واحدا ، فبينما وجدنا ابن القارح يرتع في الفردوس وينعم بلذائذ الجنّة كان الأخطل يتضوّر في السعير.

وبذلك يثير المعرّي بطريقة غير مباشرة- موضوع الجزاء الذّي يجب أن يكون على قدر العمل لذا وجدنا إبليس يدعو الزبانيّة إلى تعديل الموازين بجذب ابن القارح إلى سقر:

"فلو أنّ فيكم صاحب نحيزة قويّة لوثب وثبة حتّى يلحق به فيجذبه إلى سقر...."

تداخل البعد الواقعي والبعد الخيالي في النّص وقيمة ذلك قصصيّا:

I - <u>تحليّات الواقع :</u>

- أشخاص النّص كلّها شخصيّات تاريخيّة معروفة :

- **الأخطل: شاعر نصراني عاش في القرن الأوّل للهجرة جالس يزيد بن معاوية (ت63هـ) وعرف بوصفه الخمرة.**

- **ابن القارح: أديب عبّاسي عاصر المعرّي وتُوفّي في أواخر العشرينات من القرن الخامس.**

- **إبليس: قصّته مع آدم، وتمرّده على أمر اللّه معروفان منشوران في القرآن وكتب** التفاسير وغيرها.

2)- البيتان الواردان في النّص وهما قول الأخطل:

فَصَبُّوا عُقَارًا فِي الإِنَاءِ كأنَّها إذَا لَمَحوها، جذْوَةٌ تَتَأَكَّلُ

وقوله: **وَقَـفَتْ لِلبَـدْرِ تَـرْقُبُـهُ فَـإِذَا بالبَدْرِ قَدْ طَلَعَا**

مثبتان في كتب الأدب وتاريخه.

3)- علاقة الأخطل بالخليفة يزيد بن معاوية سجلتها كتب تاريخ الأدب أيضا.

4)- مجالس الأنس وما فيها من أدب وغناء وخمر وطرب معروفة في القرن الرابع خاصّة وقد أطنبت كتب الأدب والتاريخ في ذكرها.

كلّ هذه العناصر تجعلنا إزاء نصّ يكاد يكون واقعيّا أشخاصا وأحداثا ووقائع.

ولكن هذا لا يعني أنّ أبا العلاء اكتفى بتسجيل الواقع بل إنّه عمد إلى إضفاء مسحة من الخيال على هذا الواقع وصياغته صياغة فنيّة.

II- تجليات الخيال:

1 - **القرائن الأسلوبيّة** :

جاءت أغلب أفعال النّص في المضارع: " **يتضوّر، يقول،يسمع**"ولكنّ المعرّي في آخر النّص تحوّل بالسّرد من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي المشروط شرطا كامل العناصر "**فإذا سمع ما يقول إبليس أخذ في شتمه ولعنه**" وكأنّنا بأبي العلاء يريد بذلك تذكير القارئ بأنّ كلّ ما يقال أو يحدث يظلّ دائما رهين الشرط. معنى هذا أنّ كلّ الأفعال والأحداث الواردة في النّص لم تقع في الواقع بل في ذهن أبي العلاء، لقد ظلّت في عالم التقدير فحسب، **عالم الخيال الممكن**.

2- **القرائن المعنويّة** :

- تَصَوُّرُ أحداث إطارها جهنّم وبدا ذلك حينا تلميحا في **عبارات مثل: "يتضوّر... الجمر، الزبانيّة، إبليس، إخوان مالك خازن النّار" وحينا آخر تصريحا " فيجذبه إلى سقر"**.

- التقاء شخصيات لا تنتمي إلى **عصر واحد (الأخطل**: القرن الأوّل للهجرة) (وابن القارح :القرن الخامس للهجرة).

- التقاء كائنات ذات طبيعة مختلفة (**الإنسان** وإبليس) واشتراكهما في الحديث في مواضيع أدبيّة لا يتصوّر الإنسان أن تخطر على بال أهل النّار.

جاء النّص طريفا تمازج فيه الواقع بالخيال فكان أنموذجا قصصيّا تدور أحداثه في عالم خيالي هو العالم الآخر ولكنّ أبطاله حقيقيون وجدوا فعلا في التاريخ.
كما أنّ امتزاج الواقع بالخيال قد خلّص النّص من صبغته الترسليّة الجافة وأضفى عليه قيمة قصصيّة إبداعيّة.

الخاتمة : تتكوّن الخاتمة من :

أ - تذكير بأهم نتائج العمل الّتي وقع بسطها وتحليلها **في الجوهر**

ب - تنزيل النتائج ضمن المحور أو الأثر المدروس.

ج - فتح آفاق جديدة تنبثق من النص لتتجاوزه إلى إطار أعمّ وأشمل.

نصّ الموضوع : طالعنا أبو العلاء في رسالة الغفران بما يسلّينا ويمتعنا قصّا وخيالا وإضحاكا .

حلّل هذا القول وناقشه مدعّما رأيك بشواهد دقيقة من رسالة الغفران

التّخطيط

طُرحت القولة من خلال فكرتي التّسلية والمتعة ،وقد حدّدتهما في :

1. القصّ . **2**. الخيال . **3**. الإضحاك

المطلوب إبراز تجلّيات التّسلية والمتعة في هذه العناصر الثّلاثة ثمّ مناقشتها.

ملاحظة: لتجنّب التّكرار يحسن الجمع بين عناصر القصّ والخيال

التحليل

القصّ والخيال :

I . بنية الرّحلة :

① **الهدوء والسّكون : انفتحت الرّحلة بلوحة هادئة أدخل عليها وجود ابن القارح نوعا من الاضطراب وانتهت بنزوع حركة ابن القارح إلى السّكون،وإذا صحّ هذا الفهم فإنّ الرّحلة جاءت موافقة في بنائها للشّكل الذي حدّده"تودوروف " للرّواية ،وهو شكل يتمثّل في قيام الرّواية على حالة هادئة فاضطراب فعودة إلى الهدوء.**

② **قيام القصّة على خمسة مقاطع والتّصرّف فيها : تكوّنت رحلة الغفران من خمسة مقاطع هي العروج،والنّزهة والمحشر فالعودة إلى الجنّة والجحيم والجنّة من جديد. بناء على ذلك فإنّ أبا العلاء قد خرق النّظام الطّبيعي لوقوع الأحداث بأن جعل موقف الحشر يتوسّط الرّحلة ،فكسّر بذلك خطّية الوقائع .**

③**إحكام البناء :**

أ - **الانتقال من الأرض إلى السّماء : عرج أبو العلاء بابن القارح من الأرض إلى السّماء عبر التّحوّل من الواقع المادي إلى العالم الخيالي ،ومن عالم المحدود إلى المطلق ،وبذلك**

هيّأ المعرّي للتّحوّل من جنس الرّسالة إلى جنس القصّة ،فيصير ابن القارح موضوعا للحكاية بعد أن كان مرسلا إليه، ويتحوّل المعرّي من مُرسِل إلى باث، ويظهر ذلك منذ الصّفحات الأولى للرّحلة"**فقد غُرس لمولاي الشّيخ الجليل. إن شاء اللّه. بذلك الثّناء**"

ب ـ **إحكام العلاقة بين الفواعل** : لئن وجدنا ابن القارح في الرّحلة "يسير على غير منهج "يطوف على الشّعراء ، وأبو العلاء يقفو أثره راويا مغامراته واصفا لقاءاته،فإنّ تنقّله كان خاضعا لتصوّر منظّم قائم على التّداول في الحركة بين ابن القارح والآخرين ،فإذا تحرّك البطل سكن الآخرون و إذا تحرّكوا هم سكن هو .

فابن القارح يمرّ بأبي ذؤيب الهذليّ يحتلب ناقة وبالنّابغتين واقفين أمام قصريهما و بأبي هدرش شيخ الجنّ واقفا أمام مغارة ،وبالحطيئة كان جالسا أمام كوخه .

وإذا ما توقّف ابن القارح شرع مَنْ حوله في الحركة،فلمّا يعقد مأدبة ويسكن عن الحركة يتحرّك الآخرون .

I ـ آليات القصّ :

☆ **الوصف**: وحدّد :

الإطارين المكانيّ والزمانيّ : كل حادثة تقع،لا بدّ أن تقع في مكان معيّن وزمان ما.

❀ **المكان** : مثّل المكان في الرّحلة الغفرانيّة إطارا للأحداث ومكوّنا أدبيّا ساهم في إبراز مواطن الجمال في القصّة وحقّق المتعة للقارئ لأنّ أبا العلاء لم يقدّم المكان دفعة واحدة بل جعل القارئ يكتشفه حسب حركة البطل وتنقّله فيه.

كما شحن الكاتب المكان بطاقة إيحائيّة،فجعل الجنّة متّسعة توحي بالسّعادة والرّاحة والمحشر والجحيم ضيّقين يوحيان بالاختناق والألم والعذاب .

إضافة إلى أنّ الجنّة جمعت متناقضات يصعب تصوّرها في الواقع منها هضاب من العنبر تجري من تحتها «**أنهار تختلج من ماء الحيوان...وسعد من اللبن متخرّقات ...وجعافر من الرّحيق المختوم** » كلّ ذلك تحت شجر عظيم كلّ شجرة منه «**تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلّ غاط** "ونوقها من ياقوت ودرّ وقصورها من زمرّد.

❀ **الزّمان** : جاء الزّمان في رحلة الغفران هو الآخر متميّزا مجرّدا من المراجع الموضوعيّة ومن النّسبيّة مطلقا لذلك تبدو الرّحلة لأوّل وهلة خالية من العنصر الزّمنيّ غاب فيها اللّيل والنّهار وانعدمت الفصول والأعوام،وانتفى مفعول الزّمن"**لا هرم ولا برم**" .

السّرد : هو نقل الأحداث من عالمها الحكائيّ إلى عالم الأثر المكتوب بطريقة فنيّة ،

وقد نقل السّرد أفعال ابن القارح وغيره من الشّخوص إضافة إلى الأحداث التّي جاء أغلبها عجائبيّا ذلك أنّ أبا العلاء نقلنا في رحلته إلى عالم أسطوريّ شبيه بعالم ألف ليلة وليلة تتكلمّ فيه الحيوانات وتطير فيه الخيل وتنقلب فيه الإوزّ جواري وتخرج فيه الغواني من النّمار« **فينشئ الله بلطف حكمته شجرة من عفز... فتونع لوقتها ثم تنفض عددا لا يحصيه إلاّ الله سبحانه و تنشقّ كلّ واحدة منها على أربع جوار ...يرقصن على الأبيات المنسوبة للخليل**".

وكان السّرد في الرّحلة تارة سردا من الخارج وطورا سردا من الدّاخل وحينا آخر من لدن البطل نفسه (سارد متضمّن في الحكاية)

★**الحوار** : وكان في أغلبه بين ابن القارح وبقيّة الشّخوص،هذا وقد جمع أبو العلاء في رحلته بين شخوص ينتمون إلى عصور مختلفة وأزمنة متباينة تمتدّ من بداية الحياة البشريّة (آدم) إلى ق5هـ،كما أدار في مشاهد أخرى حوارا بين الإنس والجان،والإنس والملائكة "**ويمرّ ملك .. فيقول: ... أخبرني عن الحور العين ..** »

من كلّ ذلك نتبيّن أنّ قسم الرّحلة في رسالة الغفران قد توفّرت فيه أغلب عناصر القصّة من إطار زمانيّ ومكانيّ وحادثة وأشخاص، إضافة إلى الأدوات الرّوائيّة مثل السّرد والحوار والوصف،كلّ ذلك في أسلوب خياليّ ممتع يجد فيه القارئ متعة

الإضحاك وتقنياته : تنوّعت وسائل الإضحاك وتقنياته في رحلة الغفران منها:

① ثنائيّة الظّاهر والباطن : فالدّيباجة ظاهرها استحسان وإطراء وإعجاب،وباطنها هزء وسخرية من ابن القارح بتنزيل رسالته منزلة الكتب السّماويّة المقدّسة " **من قرأها مأجور**"

② المفارقة بين المقدّس (المكان/ الجنّة) والمدنّس (السّلوك) :سكر وعربدة في الجنان

③التناقض بين الصفة والسلوك .

④ عدم التّكافؤ بين الفعل والجزاء

⑤ التّصوير الكاريكاتوري : تصوير ابن القارح في مشاهد مفاجئة غير متوقّعة **كأن يعرّضه إلى** مواقف حرجة منها :

★ ضياع صكّ التّوبة وتأخير ظهور الهاتف

✯ تصوّره مهرولا في الجنّة والأفعى تطارده وتراوده.

✯تصوّره محمولا على ظهر الجارية زقفونة

⑥ الاستطرادات :دعاء كأن يدعو له بطول العمر في عالم الخلود ، وشرحا فوضعه في رتبة التّلميذ المتعلّم .

النّقـــاش

مناقشة العنصر الأوّل :

متعة القصّ : قد نجد في رحلة الغفران ما ينغّص هذه المتعة مثل :

+ تكلّف المحسّنات البلاغيّة و الألفاظ المعتاصة التّي يتوقّف أبو العلاء من حين لآخر لشرحها

+ كثرة الأشعار التي قد تطول طولا مشوّها للنّص القصصيّ من ذلك قصيدة أبي هدرش شيخ الجن .

+ كثرة الاستطرادات اللّغويّة والأدبيّة والنّحويّة والصّرفيّة والعروضيّة

+ بدا ابن القارح،منذ ظهوره على مسرح **الأحداث"يسير على غير منهج"**والرّاوي يقفو أثره لينقل لنا ما يقول وما **يفعل وما يعيش من أحداث**،لذا قام قسم الرّحلة - باستثناء موقف الحشر - على مبدأ **المتتاليات**،**فجاء** مشاهد تتغيّر بتغيّر الشّخصيّة المتحدّث إليها ،مفكّكة لا نكاد نجد بينها رابطا.

مناقشة العنصر الثّاني / الخيال :

لئن أكّد المعطى على أنّ بعض متعة رسالة الغفران يعود إلى الخيال فإنّ ما عُدّ خيالا هو في أغلبه استلهام من مصادر معروفة بعضها نقليّ مثل القرآن والأشعار والصّور الإسلاميّة وبعضها واقعيّ مثل طبيعة العصر ومعتقدات النّاس.

مناقشة العنصر الثّالث / الإضحاك:

المطلوب إبراز حدود فنّ الإضحاك :

✯الإغراب اللّغويّ والغلوّ في المحسّنات قد يقلّصان من قيمة الإضحاك وأحيانا يحجبانه.

✯تكرار آليات الإضحاك وتقنياته أفقده طرافته وقدرته على انتزاع الابتسامة من القارئ

✯غموض الفكرة وانغلاق المعنى أحيانا ،لقيام الكتابة على التلميح دون التصريح،يجعل النّص مراوغا وقد لا يدرك القارئ حسّ السخرية فيه.

مناقشة عنصر التّسلية والإمتاع : قد نجد في رحلة الغفران ما ينغّص التسلية والمتعة من ذلك

1 ـ تشكيك الكاتب في عديد المعتقدات التي تُعدّ مسلّمات مثل معتقد التّوبة والسّراط وخاصّة الشّفاعة.

2 ـ طرح بعض القضايا الغيبية المحيّرة مثل :

+ كيفيّة البعث يوم الحشر : فالأعشى صار عشاه حورا موصوفا فهل ستُبعث الأجساد ؟ وفي أجمل صورها ؟ لكنّ السّلوك دنيويّ وقد يصل حدّ السّباب والشّتم " **اسكت يا ظلّ بن ظلّ** " والضّرب : " **فيثب نابغة بني جعدة فيضربه بكوز من ذهب** " فلمَ لا يكون السّلوك في مثل جمال الأجساد وكمالها ؟

+ والجزاء ،هل هو للمكلّفين(العاقلين من البشر)أم هو للحيوان أيضا؟

+ والجنّة : هل لها حدود ؟ ألا يسلبها ذاك كمالها ؟

+ وطيّباتها ؟هل هي دنيويّة ؟ و هل الخمرة في الجنّة محلّلة ؟ إذا كان الأمر كذلك هل يباح في الجنّة كلّ ما كان محرّما في الدّنيا ؟ ألا نجد أنفسنا حينئذ إزاء جنّة موبقات ؟

والجنس ؟ هل هو مباح في الجنّة أم يؤتى خلسة ويمارس في الخفاء ، إذا كان مباحا فلمَ يختلي ابن القارح بحوريّتين ؟هل خشية من النّاس ؟ هل في الجنّة ممنوعات ومحرّمات ومحظورات ؟ فيعمد الإنسان إلى إتيان بعض الأفعال خفية وخلسة ؟ ألا نجد أنفسنا حينئذ إزاء جنّة ناقصة ،مقيّدة ؟ وإذا كان مباحا ،يمارسه الإنسان أين ما شاء ؟ ألا نجد أنفسنا في جنّة موبيقات ؟ يا ليت شعري ما الصّحيح ؟ أسئلة كثيرة قال عنها أبو العلاء في اللّزوميات :

أمور يلتبسن على البرايا كأنّ العقل منها في عقال

الخاتمة

صاغ أبو العلاء رحلة الغفران في أسلوب ممتع تظافر فيه القصّ مع الخيال والإضحاك لكنّنا نجد لهذه المتعة حدودا بعضها يعود إلى أسلوب أبي العلاء في الرّحلة الذي اتّسم بالتّعقيد في المعنى وبصعوبة الألفاظ وكثرة الاستطرادات،وبعضها يعود إلى المضمون وخاصّة ما يتعلّق بالقضايا الغيبيّة التي أثارها أبو العلاء دون أن يحاول الإجابة عنها.

ولعلّ هذا البعد الغيبيّ هو الذي يجعل من رسالة الغفران أثرا خالدا متجدّدا عبر الزّمان والمكان.

نصّ الموضوع :

نصّ الموضوع: يقول محمود المسعدي :" كن على المعرّي نقمة وعنه إعراضا وله كرها وإبغاضا ،فلن تفوته ولن تتخلّص منه ...ذلك أنّ نسبة قريبة بينه وبين نفسك تضطرّك إليه وصدى له بعيدا في قرارة قلبك يرغمك عليه حلّل هذا الرّأي مبرزا دواعي الإعراض عن أبي العلاء في رحلة الغفران، وما يشدّ القارئ إليه رغم تلك الدّواعي، مدّعما رأيك بشواهد دقيقة في الأثر

فهم الموضوع

1 - **المعطى**: يتكوّن من جملتين:

أ - "**كن على المعرّي نقمة وعنه إعراضا وله كرها وإبغاضا**": نلاحظ في هذه الجملة تواتر ألفاظ تنتمي إلى حقل دلاليّ واحد هو "**الرّفض والإعراض**" ← المطلوب إذن إبراز **دواعي هذا الإعراض عن أبي العلاء وأسباب الكره ودوافعه**.

ب"- **فلن تفوته ولن تتخلّص منه**" جاءت الجملة منفيّة في المستقبل، تلغي كلّ محاولة للتّخلص من أبي العلاء، ثمّ أردفت هذه الجملة المنفيّة بأخرى تعليليّة " **ذلك أنّ نسبة قريبة بينه وبين بعض نفسك تضطرّك إليه وصدى له بعيدا في قرارة قلبك يرغمك عليه** ."تبيّن: لِمَ يستحيل على الإنسان أن يفوت المعرّي ويتخلّص منه، مؤكّدة على متانة الصّلة بين أبي العلاء وبعض نفس الإنسان.

المطلوب ← **هو إبراز ما يشدّنا إلى أبي العلاء وما يرغمنا عليه**

2 -**الطّلب**: ويتكوّن بدوره من جملتين:

أ- إبراز دواعي الإعراض عن أبي العلاء.

ب- إبراز ما يجذب القرّاء إليه.

نلاحظ أنّ الطّلب كرّر ما جاء في المعطى ولم يضف إليه شيئا.

التّخطيط

العنصر الأوّل :دواعي الإعراض عن أبي العلاء في رسالة الغفران:

☆ شكلا:

- الإسراف في:

أ- استعمال الألفاظ الحوشيّة المعقدّة، وشرحها.

ب- الغلوّ في استعمال المحسّنات البلاغيّة(جناس، طباق،سجع).

ج- كثرة الاستطرادات اللغويّة والعروضيّة والأدبيّة.

☆مضمونا:

أ ـ اعتماد العقل وسيلة وحيدة للبحث في الغيب والإسراف في ذلك، وهو ما قاده إلى:

*التّشكيك في بعض المسلّمات مثل البعث جسدا وطبيعة العالم الآخر.

* طرح أسئلة يعجز العمل عن الإجابة عنها مثل:حدود الجنّة، طبيعة الحياة فيها.

ب - الهزء بعديد المعتقدات التّي تفتح أمام الإنسان باب الأمل في تدارك أخطائه مثل: التّوبة والشّفاعة، أو تفتح له باب الأمل في حياة أسمى يعوّض له اللّه فيها ما ابتلي به في الدّنيا مثل التّعويض الخلقيّ أو عن الفقر.

ج-السخرية من بعض المقدّسات مثل:

*تصوير يوم الحشر تصويرا كاريكاتوريّا.

*صورة الرّسول والنّاس يتدافعون حوله في فوضى يهتفون به من كلّ أوب:" يا محمدّ يا محمدّ، نمتّ بكذا ونمتّ بكذا."..

*تصوّر المغفور لهم وقد غفر لهم نتيجة أقوال أو نيّات لا نتيجة أفعال.

د-النّظر إلى المرأة نظرة دون: وسيلة إمتاع لا غير.

العنصر الثّاني :دواعي الإقبال عليه:

***شكلا** :

-1- طرافة أسلوب الرّسالة:

أ - الأسلوب القصصيّ (والتّركيز خاصّة على الحبكة والإيهام والتّشويق).

ب -طرافة الأثر : تركيب الواقعيّ على الخيالي.

ج -الأسلوب السّاخر: (الإضحاك وتقنياته).

***مضمونا**:

-1- **الجرأة في:**

أ- نقد الواقع السيّاسي.

ب - نقد بعض المذاهب الدينيّة (الشّيعة خاصّة رغم نفوذهم في ذلك العصر):

(صكّ التّوبة./ منزلة عليّ وآل البيت يوم الحشر.)

ج . نقد بعض الأمراض الاجتماعيّة

- 2 - **الشّجاعة في:**

أ - طرح بعض القضايا الغيبيّة.

ب - رفض بعض المعتقدات للامعقوليّتها.

-3 - **الطّابع الإنسانيّ لمواضيع الرّسالة:**

- المواضيع بقسميها الدّنيّوي والغيّبي: خرج أبو العلاء بالأدب من إطاره الذّاتي الضيّق(المتنبيّ مثلا) إلى تصوير هموم الإنسان الدنيويّة والغيبيّة.

هكذا يدفعنا أبو العلاء إلى مواجهة عنيفة مع أنفسنا ويجادلنا بشدّة في ما كنّا نعتبره مسلّمات، فيهزّ قناعاتنا، ويوسوس لنا" شيطان أبي العلاء" لعلّ كلّ شيء زيف وخدعة، لكنّنا سرعان ما نعرض عنه خوفا منه على" إيماننا" وتظلّ دواعي الإيمان فينا أقوى من حيرة أبي العلاء وشكّه، فنهرب منه ونلعنه ونبغضه، لكنّه يظلّ قائما فينا لأنّ نسبة قريبة بينه وبين بعض أنفسنا تضطرّنا إليه وصدى بعيدا في قرارة أنفسنا يرغمنا عليه.

للتدرّب

نصّ الموضوع : ما رأيك في من يقول :" إنّ طرافة أبي العلاء في رحلة الغفران لا تكمن في ما أضْفَاهُ على رحلة ابن القارح من وجه إنسانيّ مألوف بقدر ما تكمن في ما أدْخَلَهُ عليها من فنون الخوارق والخيال."

نص الموضوع : يقول أحد النّقاد:" إنّ طرافة قسم الرّحلة من رسالة الغفران لا يعود إلى ما تضمّنته هذه الرّحلة من جريء المواقف فحسب،بل بما خرجت فيه من شكل فنّي متميّز كذلك".

حلّل هذا القول اعتمادا على ما درست من الرّحلة

تفكيك الموضوع

I- المعطى: ورد في جمل ثلاث :

1- جاءت الجملة الأولى تقريريّة مؤكدّة بإنّ،أكدّت حكما على قسم الرحلة من رسالة الغفران مفاده "أنّ قسم الرّحلة من رسالة الغفران طريف".

2- جاءت الجملة الثّانية في بناء يجب الانتباه إليه جيّدا لأنّه يُوحي بالنفي"لا بما" لكنّ لفظة"فحسب"الواردة في آخر الجملة تقلب النّفي إثباتا ،وحاول القائل- في هذه الجملة - تعليل ما ورد من حكم في الجملة الأولى،فأرجع هذه الطرافة إلى جرأة أبي العلاء في مواقفه.

⇦ المطلوب في هذا العنصر إذن استقراء بعض المواقف الجريئة لأبي العلاء في مختلف القضايا والمجالات (الاجتماعية، العقائدية ، السياسية، الأدبيّة ، الغيبيّة...)

3- قدّمت الجملة الثانية تعليلا آخر للطرافة ويتمثّل في الشّكل الفنّي الطريف.

⇦حاول المعطى تحليل ما عُدّ طرافة في رسالة الغفران بأن أرجعها إلى :

أ- جرأة أبي العلاء في مواقفه.

ب- الشّكل الفنّي المتميّز الذّي أخرجت فيه هذه المواقف.

II- الطلب : اكتفى بطلب تحليل ما جاء في المعطى وتدعيمه بشواهد من الأثر.

التّحليل

I- الجرأة في الخوض في المحظور في المستوى العقائدي:

☆- إعمال العقل في مسائل دينيّة،عقائديّة تعتبر من المسلمات: مثل معتقد الشّفاعة ودور الرّسول في العالم الآخر.

☆ - نقد المفهوم السائد لفكرة والتّوبة بآخرة من الوقت .

☆.- نقد التصورات السائدة لوساطة آل البيت خاصّة لدى الشيعة.

☆- نقد التصوّر السائد عن دور اللّه في الجنّة (تلبية شهوات المغفور لهم ونزواتهم)

☆ - نقد التّصور المادي المنتشر في عصره عن الجنّة: وقد مُلئت بكلّ ما حرم منه الإنسان في الدّنيا من أكل وشراب وجنس ومتع.

☆ - التشكيك في ماديّة البعث والجزاء لأنّ ذلك يضعنا إزاء دنيا ثانية فيها النّقص والغضب والانفعال والشّماتة والضرب.

☆ - التجرؤ على التساؤل في قضايا غيبيّة هي من المسلمات لدى بعض النّاس:

+ طبيعة الجنّة:هل للجنّة حدود؟

+ طبيعة الحياة في الجنّة:ألا يصاب الإنسان في الجنّة بالملل لطول الحياة وتوّفر كلّ الحاجيات؟

+طبيعة العذاب:حشر إبليس في النّار والحال أنّ عنصره منها ؟

+ طبيعة البعث:كيف يبعث الإنسان؟وفي أيّ سنّ؟...

2- **تجرؤه على نقد السياسة:**

☆ حشر أبو العلاء في الجحيم **كلّ** السّاسة وألحقهم بنسائهم وأبنائهم:"**والشّوس الجبابرة من الملوك تجذبهم الزبانيّة إلى الجحيم...والنّسوة ذوات التّيجان يُصرن بألسنة الوقود ..والشباب من أولاد الأكاسرة يتضاعون في سلاسل النّار**".

☆ أخذ عليهم أبو العلاء :

+حكمهم بالهوى.

+ إحاطتهم أنفسهم بأقربائهم

+حياة اللّهو والمجون وإهمال شؤون العامّة.

3- **الجرأة في نقد الذّوق الأدبيّ ومقاييس نقد الشّعر وعلاقة الأدباء فيما بينهم:**

أ- نقد سلوك الشّعراء والأدباء والخصومات في المجلس الأدبيّة

ب- رفضه للمقاييس الأدبيّة الشائعة في عصره مثل أنّ أعذب الشّعر أكذبه وتبيّنه مقياس الصدق في تقويم الشّعر لذلك جعل"الحطيئة يعترف بأنّ الزبرقان بن بدر انتفع بهجائه بينما لم ينتفع غيره بمديحه.

نصّ الموضوع : نصّ الموضوع: تعدّدت أساليب الهزل والسخرية في قسم الرّحلة من رسالة الغفران وتنّوعت، فأتاحت للمعرّي أن يكون أكثر جرأة وألذع نقدا

بيّن مدى صحّة هذا الرأي معتمدا على أمثلة دقيقة من رسالة الغفران.

تفكيك الموضوع

- I **المعطى**: جاء المعطى في أسلوب تقريري، لا نفي فيه، أثبت حقيقتين:

1- **الحقيقة الأولى**: تعدّد أساليب الهزل والسخريّة في رحلة الغفران وتنوّعها.

الكلمات المفاتيح في هذه الجملة هي:

أ - **الهزل والسخريّة.**

ب-**الأساليب**: والمقصود بها آليات الإضحاك وتقنياته ووسائله المحقّقة له، لغويّة كانت مثل الدعاء والشروح أو فنيّة مثل المفارقة والمفاجأة والإضحاك بالحركة إلى غير ذلك.

ج-**تعددّت**: كناية عن الكثرة والانتشار في مختلف أقسام الرّحلة.

د -**تنوّعت**: اختلفت وجاءت في أشكال عديدة وصيغ مختلفة.

المطلوب من هذا العنصر إذن:

- إبراز مختلف **أساليب الإضحاك وتقنياته** في الرّحلة.

2- **الحقيقة الثانية**: جعل هذا التعدّد والتنوّع أبا العلاء أكثر جرأة في مواقفه النقديّة.

II- **المطلوب**: بيان مدى صحّة هذا الرأي بـ:

1- تبنّي مَا ورد في المعطى وتحليله والتّوسع فيه ودعمه بشواهد دقيقة.

2- إبراز حدود انطباقه على الأثر:

ج- ذمّ الأدب التّكسبي "**بئس البضاعة** " وتشبيه الشّاعر المدّاح بالكلب وشعره بالنّباح وما يكتسبه من المدح بالعظام .

د- نقد الرّواة والنحويين لتحريفهم الشّعر وتعسّفهم على الشّعراء(قصّة أبي علي الفارسي مع الشعراء في المحشر).

4- **النقد الأخلاقيّ والاجتماعي:**

أ ـ طبقيّة الجنّة والتفاوت في الحظوظ بين أهلها، صورة من طبقيّة الواقع، فبينما كان لزهير قصر من ونيّة اكتفى الحطيئة بكوخ كأنّه حفش أمة راعية.

ب ـ نقد أخلاق ابن القارح وأهل عصره:النّفاق، التّهالك على الملذّات، ضعف الوازع الدّيني، المحسوبية والوساطات...

5- **التّصدي للفكر الخرافي الأسطوري**: نسبة بعض الأشعار إلى الجان، الزواج من الغيلان...

II- **الشكل الفنّي الطريف:**

هذا العنصر ثري جدّا يستوجب استقراء مظاهر الطرافة.

ويمكن الاقتصار في الطرافة شكلا على ثلاثة جوانب فنيّة هي:

1- **البناء** : تقاطعت في رحلة الغفران أجناس أدبيّة عديدة:

- التّرسل، القصّ، الرحلة، ووظّف أبو العلاء في صياغة ذلك:

أ- تقنيات قصصيّة متنوّعة منها:

- الأدوات الروائية : السرد والوصف والحوار.

+ نقل السرد أحداثا بعضها واقعي وبعضها خيالي.

+وأطّر الوصف الأحداث زمانا(سرمدي)مكانا(عجيب...).

+ ونقل الحوار ما دار بين شخصيات متنوّعة:إنس وجان وملائكة وحيوان...

ب- اعتماد بعض خصائص التّرسل: الشروح ، الأدعية ، الاستطرادات، الأشعار، المحسنّات البلاغيّة.

2- من مظاهر الطرافة في السخريّة: تعدّد وسائل الإضحاك وتنوّعها:

أ- إضحاك بالكلمة. ب- إضحاك بالموقف. ج- إضحاك بالحركة.

أ- إلى أيّ مدى كانت أساليب الهزل والسخرية متعددّة ومتنوّعة.

ب- إلى أيّ مدى يمكن التسليم بمساهمة هذه الطرق في جعل أبي العلاء أكثر جرأة في تناوله قضايا العصر.

التّخطيط

أ - انتشار روح السخرية والتهكّم في ثنايا رحلة ابن القارح أضفى على الرّسالة طابعا هزليا رغم قداسة المكان وجدّية المواضيع ⇦ (تعدّد أساليب الهزل)

❀ من أساليب الهزل والسخرية:

أ - <u>المفارقات</u>:

- بين المكان والسلوك:" **عربدة في الجنان.**"

- بين السنّ والسلوك.

- بين المقام والمقال: خوف ابن القارح من السقوط (في مشهد القنص مثلا).

- بين المقدّس والمدّنس: السجود والابتهال والتجهّد / استراق النظر إلى جارية

- بين المجهود والنتيجة: محاولات ابن القارح التقرّب من رضوان خازن الجنان يوم الحشر وفشله في ذلك.

- بين الغفران وأسبابه: دخول الجنّة ببيت من الشّعر أو قصيدة. الغفران للحيوان رغم أنّه غير مكلّف...

ب - <u>بالموقف</u>:

-رغبة ابن القارح في كتابة شعر الجنّ ثمّ عدوله عن ذلك": **فيهمّ الشيخ...بأن يكتب منه...لستُ بموفّق إن تركت لذّات الجنّة وأقبلت أنتسخ آداب الجنّ.**"

-حوار ابن القارح وإبليس حول صناعة الأدب.

- العبث بعواطفه يوم الحشر بتأخير ظهور الشّاهد.

-خلوة ابن القارح بحوريتين (حمدونة وتوفيق السّوداء) وخاصّة تنغيص هذه المتعة **بقلبها مرارة لمّا اكتشف أنّ حمدونة التّي يترّشف رضابها كانت في الدنيا تفلة (رائحة فيها كريهة).**

ج - بالحركة (المشهد):

مشهد عبور الصّراط.

- مشهد ابن القارح وهو متعلّق بركاب إبراهيم.

-مشهد الأعشى في يد الزبانيّة.

-مشهد فرار ابن القارح من الحيّة التّي روادته:"**فيذعر منها ويذهب مهرولا في الجنّة** "

د - بالعبارة (ألفاظا وتراكيب):

+ اعتماد غريب الألفاظ: "**جحجلول، كفرطاب،زقفونة**"

+ استعمال كلمات تحمل المعنى وضدّه " **قد وصلت الرسالة التّي بحرها بالحكم مسجور** (مملوء/فارغ) **ومن قراها ماجور** (**له أَجْرٌ/ يَقْرَأ بأَجْرٍ**) **وغرقت** (المتعة / الموت) **في أمواج بدعها الزاخرة...**

+ الجمل الدعائيّة:" **أسكتَ اللّه مُجَادله.**"،" **لاَ فتئ خَصْمُهُ مُفْحَما.**"" **ويخلو - لاَ أَخْلاَهُ اللّهُ منَ الإِحْسَانِ**)"... قامت على مفارقة بينّة بين مضمون الدعاء (فضيلة الإحسان) والمقام (الفعل الشهواني) .

+ الاستطراد اللّغوي: شرح مفردات:"**وذات أنواط - كما يعلم - شجرة كانوا يعظّمونها في الجاهليّة**"، وضعه في موضع تلميذ متعلّم في حاجة إلى شروح ودروس.

في الرّسالة حضور مكثّف لهذه الأساليب المتنوّعة أكسب الأثر طابعا هزليا.

2 - الهزل والسخرية أتاحا للمعرّي أن يكون أكثر جرأة وأبلغ تعبيرا:

من تجليّات الجرأة في قسم الرّحلة:

-نقد المعتقدات السائدة والسخرية منها:

-مفهوم الغفران:"**ورأيت فيما يرى النائم حبلا من السّماء فمن تعلّق به من سكّان الأرض سَلِم.**"

-مفهوم التّوبة في آخر العمر.

-مفهوم الشّفاعة (توسّط أهل البيت لابن القارح...).

-مفهوم العدل الإلاهيّ (الحكم على الأعشى وإيقاف تنفيذه...).

-نقد تصوّرات العامّة للجنّة وعبور لصّراط، والنّار،نقدا قائما على الهزل .

-**النقد الاجتماعي والسياسي:**

(الطبقيّة - التّكالب على الشهوات - الوساطة -منزلة الملوك- الفرق والمذاهب...)
من خلال تصوير هزليّ ساخر لسلوكات أهل الجنّة وأهل الجحيم ومشهد الحشر...

-**معالجة قضايا أدبيّة:**

*الخصومات بين اللغويّين والرّواة والشعراء.

*تصرّفات ابن القارح مع أهل الجنّة من الشّعراء...

*المجالس الأدبيّة وما يطرح فيها من قضايا(نقد الشّعر- مقاييس الإجادة- التكسّب بالشّعر...). ⇦مواقف المعرّي (وإن كانت ضمنيّة غالبا) تجلو فكرا نقديّا حرّا جريئا.

التقييم

ممّا يمكن إيراده لبيان صحّة القول المطروح:

*ضعف الطابع الهزليّ أحيانا نتيجة كثرة الاستطراد وكثافة الجمل الاعتراضيّة والنزوع إلى الجمع والتدوين⇦ تقليص المتعة القصصيّة.

*إثارة المسائل بطرق غير مباشرة قد يجعلها خفيّة فلا ينتبه إليها كلّ القرّاء.

*معالجة القضايا الاجتماعية والدينيّة بطريقة غير مباشرة قد يفسّر بالتّقيّة والخوف من أصحاب السلطة، فجرأة المعرّي نسبيّة ومحدودة.

*الهزل والسخريّة أسلوبان لا يحققّان متعة خارج إطار القصّ الذّي وردا فيه.

التأليف

- أساليب الهزل والسخرية تعكس قدرة المعرّي على تلوين كتاباته بألوان مختلفة لتحقيق مقاصده.

-الهزل والإضحاك من مقوّمات أدبيّة رسالة الغفران وعامل مهّم من عوامل فرادتها.

-تظافر البعد الفنّي(أساليب الهزل) والبعد النقدي الفكري(القضايا المطروحة) في تحقيق الأثر الإيجابي في المتلّقي.

نصّ الموضوع :قيل : تقرأ قسم الرّحلة من رسالة الغفران فيتجلّى لك المعرّي قصّاصا بارعا ومفكّرا جريئا

حلّل هذا القول ودعّم تحليلك بشواهد من قسم الرّحلة

فهم الموضوع

I- **المعطى**: يقوم المعطى على فكرتين رئيسيتين :

① براعة المعرّي في الكتابة القصصيّة.

② انبنت الثّانية على جانب **دالي** في رحلة الغفران هو:

جرأة المعرّي في التّفكير الخوض في قضايا خطيرة دينيّا وسياسيّا واجتماعيّا وأدبيّا) قلّما جرؤ النّاس على طرحها.

II- **الطلب:**

يستدعي الطلب إقامة الدليل على صحّة الفكرتين الواردتين في المعطى

التخطيط

المقدّمة : لئن كان حظّ الأدب العربي من فنّ الرواية نزرا قليلا فإنّ من النّقاد من اعتبر رسالة الغفران رواية طريفة وعدّ أبا العلاء فيها قصّاصا بارعا ومفكّرًا جريئا.

فما هي مظاهر البراعة في القصصيّة في رحلة الغفران ؟

وما هي مظاهر الجرأة في تناول بعض القضايا الدينيّة والسياسيّة والأدبيّة والغيبيّة ؟

عناصر الجوهر:

① **العنصر الأوّل**: من مظاهر براعة القصّ عند المعرّي.

I . **البنية الفنيّة:**

★ **قيام القصّة على خمسة مقاطع رئيسيّة** مرتّبة كما يلي:

- المعراج والجنّة - المحشر - الجنّة من جديد - الجحيم - العود إلى الجنّة .

1- **وضع البداية**: يتّسم المقطع الأوّل بالهدوء النّسبيّ.

2- **وضع التّحول**: الجنّة وخاصّة موقف الحشر الذي يمثّل لحظة ذروة الاضطراب،وكان وجـــوده متوسّطا المقاطع الخمسة سببا في إضفاء قدر من التّشويق على القصّة ،ما كان ليتحقّق لو أنّ المعرّي التزم في ترتيب المقاطع بتسلسلها الزّمني الأصلي.

3- **وضع النهاية**: ويتمثّل في العودة إلى الهدوء في آخر الرّحلة.

★ تماسك البنية الحديثة:

+ تتابع الأحداث وترابطها بفضل الحريّة التّي منحها المعرّي للبطل كي ينتقل في فضاء مجهول يحمل على البحث والاستكشاف، مثال ذلك:" **وينصرف مولاي الشّيخ الجليل و صاحبه عدي فإذا هما برجل يحتلب ناقة...**" "**ويمضي في نزهته تلك بشابيّن يتحادثان...**" "**فيطلع فيرى إبليس ...**" "**وينظر فإذا عنترة العبسيّ مُتلدّد في السّعير...**".

+ تبدو النّزهة كما لو أنّها جاءت على غير منهج، لكنّ تتابع الأحداث يحكمه عامل فنّي هو طبيعة المكان الذّي يعمل البطل على اكتشاف أرجائه بالتدريج وتحصل في كلّ جهة منه أحداث معيّنة.

★تكثيف عوامل التّشويق:

+ تأخير موقع الحشر لحفز القارئ على متابعة القصّة ومعرفة السبب الذّي دخل به ابن القارح الجنّة.

+ التّصرف في الأحداث تقديما وتأخيرا دون اعتبار لنسقها الزمني الدنيوي، من ذلك تقديم لقاء ابن القارح بأبي علي الفارسي على لقائه بعلي بن أبي طالب حتّى يضيع منه صكّ التّوبة ويكون ذلك سببا في معاناته.

+ التفنّن في ابتداع حالات سوء التّفاهم بين الشخصيّات.

+ تركيب الواقع على الخيال باستغلال الأحداث الدنيويّة وتغيير نسقها عند نقلها إلى الآخرة لتحقيق الامتزاج بين التّاريخي والعجائبي.

⇦خلافا لما يعتقده البعض من أنّ أحداث رحلة الغفران جُمِعت جمعا كميّا لا يربط بينها رابط إلاّ البطل الذّي يتنّزه في أرجاء الجنّة أو ينتظر في موقف الحشر الدخول إليها، فقد تميّز هذا القسم من رسالة الغفران بتماسك فنّي متين وبناء محكم للأحداث.

II . العناصر القصصيّة:

1 - الشخصيات:

أ - صفاتها:

- تعدّد الشخصيّات وتنوّعها(إنسانيّة، حيوانيّة، ملائكيّة...).

- اجتماع البعدين التاريخي والتخييلي في الشخصيات(للنّابغة الجعدي وأبي علي الفارسي وغيرهما من الشّعراء واللغويين وجود تاريخي ووجود فنّي قصصي).

- إحكام الرّبط بين البعدين بشكل جعل حياة الشخصية القصصية امتدادا فنّيا لحياة الشخص في الدّنيا، فتحققت بذلك الإضافة التخييلية التّي لا تمتّ بصلة إلى الواقع إلاّ عن طريق الاحتمال.

ب- العلاقات بينها:

- علاقات التّكامل بين بعض الشخصيّات مثل رضوان وزفر.

- علاقات التّباين بين البعض الآخر مثل النابغة الجعدي والأعشى.

- علاقات التماثل بين مجموعة ثالثة مثل عوران قيس وتوفيق السّوداء وحمدونة الحلبيّة.

تعدّدت الشّخصيّات وتنوّعت لكنّها انتظمت حول شخصيّة محوريّة ألّفت بينها وكانت سبب وجودها وهي شخصيّة ابن القارح.وقد استعمل المعرّي علاقات بطله بمن حوله لتعرية شخصيته على الوجه الذّي يحبّ في كلّ مرّة.

2- المكان:

التّدرج في الكشف عنه بحسب حركة البطل فيه وتنقلّه في أرجائه.

- تنويعه تنويعا وظيفيا وربط كلّ جزء منه بجملة من القضايا يعيشها البطل على نحو من الأنحاء.

- إيجاد تقابل وظيفيّ بين الأماكن من حيث السّعة والضّيق(السّعة للجنّة والضّيق للمحشر أو الجحيم...).

وظّف المعرّي الأماكن في الرّحلة الغفرانيّة لتوليد الأحداث، وشحنها بطاقة رمزيّة سمحت له بنقد عدّة مظاهر اجتماعيّة وطرح أسئلة يحار العقل في الظفر بجواب لها.

3- **الزّمان:**

- التوفيق بين الزمن الخارجي القائم على الذّاكرة لاسترجاع حياة كلّ شخص وبين الزمن الداخلي الذّي تجري فيه أحداث الرّحلة (مثل الحوار حول التّغزّل بـ"الرّباب"والخصومة التّي قامت بسببها ، أو" **أقمت في الموقف زهاء شهر أو شهرين...**"أو"**فَغَبَرْتُ برهة، نحو عشرة أيّام من أيام الفانية**، "أو"**إنّ مولاتنا فاطمة دخلت الجنّة منذ دهر...**".

- توظيف النّص القرآني لإبراز اختلاف المقاييس بين الدّنيا والآخرة(مثال: "**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة...**").

وفّق المعرّي بين الزّمن النّسبيّ والزّمن المطلق في ضوء تنوّع المكان في قسم الرّحلة (الدّنيا والآخرة).

III - **الرّاوي والأدوات الرّوائيّة** :

① **الرّاوي**: المراوحة بين التجلّي لدفع الأحداث إلى الأمام والتخفّي بالانسحاب من السّاحة وترك الشّخصيّات تتحرّك وحدها وتتحاور دون تدّخل منه.

سخر المعرّي الرّاوي في قسم الرّحلة في تنظيم العمليّة السّردية وترتيب العلاقات بين الشخصيّات وخاصّة في تهيئة الظروف لطرح السؤال:" **بِمَ غُفِرَ لَكَ** ؟ "وهو سؤال أسهم في تنامي القصّة.

② **الوصف**: كثرة الأوصاف وثراء المعجم المعتمد في قسم الرّحلة.

- كثرة التّشابيه والاستعارات وتوظيفها في وصف أحوال الشخصيات سواء في الجنّة أو في المحشر أو في الجحيم.

- دقّة الوصف الماديّ والنفسيّ للشخصيّة الواحدة.

- البراعة في تشخيص ما كان مُتَصوَّرا غير دقيق في النّص القرآني أو في ذهن المسلمين.

③- **الحوار**:

- تحاور الشخصيّات باللّغة العربيّة وتواصلها دون أي عائق رغم اختلاف أصلها وطبيعتها.

- تنوّع المواضيع المطروقة في الحوار وتناميها بشكل يفضي إلى التّصادم **بين المتحاورين** (مثال ما حدث بين نابغة بني جعدة والأعشى).

- **توظيف الحوار** لإثارة المسائل التّي يريد المعرّي الخوض فيها **والكشف عن بواطن** الشخصيّات وتصوّراتها لتلك القضايا.

- استعمال الحوار للنقد والسّخريّة والإضحاك.

② **العنصر الثّاني** : من مظاهر الجرأة الفكريّة عند المعرّي :

☆- **الجرأة في الميدان الدّيني** : هي البحث العقلي في مسائل لها أجوبة نقليّة وطرح لقضايا ما ورائيّة أنزل فيها نصّ قرآني، كما هي ⇦ الخروج عن الإجماع.

❁مناقشة مسألة الغفران وربطها بمبدأ العدالة الإلهية : لقد وهب اللّه الإنسان عقلا ،ثمّ هداه عبر الرسل والأديان من ثمّ فهو مسؤول يُجازى إن أحسن ويعاقب إن أساء، تصبح المغفرة حسب أبي العلاء لا موجب لها بل وتتقابل والعدل الإلهي.

❁ اعتماد السنّة على ظاهر النّص واجتنابها التأويل وإقرارها بأنّ المغفرة وسّعت على النّاس باب الرّحمة وأنّ اللّه يغفر الذنوب جميعا ما لم يُشْرِك به المُسلم أحدًا.

❁ مناقشة مبدأ الشّفاعة:

- الشّفاعة والوساطة تتنافى ومسؤولية المرء في أعماله.

- اقتصار الشّفاعة على المسلمين وفي ذلك ظلم لمن عاش قبل الإسلام ولم يدرك محمدا.

- مبدأ الشّفاعة يتنافى ومبدأ العدل الإلهي.

❁مناقشة مبدأ التّوبة: - **التّوبة تتنافى والمنطق العقلي.**

- **التّوبة عامل مشّجع على فعل الشّر.**

❁ مناقشة طبيعة الجزاء:

- حيرة المعرّي أمام المفارقة الصارخة بين طبيعة الأفعال المؤدية إلى دخول الجنّة والجزاء الموعود فيها(المسلم السّويّ هو من ترّفع عن المادّة في الدّنيا فإذًا جزاؤه في الآخرة مُتَعٌ ماديّة خالصة).

فتوفيق السّوداء وحمدونة الحلبيّة انقطعتا إلى عبادة اللّه وحرمتا نفسيهما من متع الدّنيا الماديّة فكان جزاؤهما متعا ماديّة. كأنّنا بأبي العلاء ينتظر من اللّه جزاء للمتّقين يكون أرفع ممّا جاء في النّص القرآني وأرقى.

☆- **الجرأة السّياسيّة والأدبيّة**: الإدلاء بالرأي في المسائل السياسية والخروج عن الإجماع في المسائل الأدبيّة:

- المجاهرة بالعداء للملوك والتشفّي فيهم بابتلائهم في الآخرة بعذاب أليم.

- جرأة المعرّي في مناقشة مسائل تتصفّ بالقداسة والخوض فيها خوضا عقليّا يفضي إلى الشكّ فيها أو في الحكمة من ابتداعها.

نصّ الموضوع :

لئن ركب أبو العلاء الخيال مطيّة للقصّ في رسالة الغفران،فإنّه لم ينزع به إلى عالم المطلق بقدر ما توسّل به إلى اقتحام عالم الإنسان،تفكيرا في مشاغله وتشهيرا بمعايبه

حلّل هذا القول مبديا رأيك فيه استنادا إلى أدلّة واضحة قسم الرّحلة من رسالة الغفران

فهم الموضوع

I- المعطى: طرح المعطى من خلال زاوية محدّدة في رسالة الغفران هي الخيال.

وقد جعل المعطى للخيال وظيفتين:

1- الأولى: مطيّة للقصّ.

2- الثانية: وسيلة لاقتحام عال الإنسان(تفكيرا في شواغله وتشهيرا بمعايبه).

ملاحظة : قدّم المعطى الوظيفة الثانية على الأولى. وهو ما يستوجب في الجوهر تقديم العنصر الثّاني على الأوّل.

II- الطلب: ❖تحليل القول . وإبداء الرأي فيه

التّخطيط

* المقدّمة :

+ مقدّمة المقدّمة: لئن اندرجت رسالة الغفران في ظاهرها ضمن أدب التّرسل فإنّها قد ضمّت قسما طريفا غلب عليه القصّ والخيال

+ إدراج الموضوع: بذكر ما ذهب إليه بعض النّقاد . بعد الإقرار بأنّ الخيال في قسم الرّحلة من مقوّمات القصّ . من تقديم توظيفه لاقتحام عالم النّاس على توظيفه وسيلة للنّزوع إلى العالم المطلق.

+ طرح الإشكاليات: فما هي دلالة هذا الرأي وتجلياته في قسم الرّحلة؟ وإلى أيّ مدى يمكن اعتماده؟

التّحليل

①**العنصر الأوّل:**

أ- الخيال مقوّما من مقوّمات القصّ:

من مقوّمات القصّ التّي تخضع لفعل التّخيّل في قسم الرّحلة من رسالة الغفران:

☆**المكان:**- سما به المعرّي إلى عالم الخوارق،فتخيّله محشرا وصراطا وجنّة وجحيما بمواصفات تخرق المعقول(كثبان عنبر،أنهار من لبن وعسل وخمر ،أشجار تأخذ الواحدة من المشرق إلى المغرب بظلّ غاط، صخور من زمرّد).

- تدرّج في وصفه مواكبة لمراحل نزهة ابن القارح في العالم الآخر.

☆**الزّمان:** - خضع لفعل التّخيّل بخروجه عن الزّمن التّاريخي إلى الزّمن الغيبيّ(الآخرة).

- جاء سرمديّا مطلقا تلتقي فيه كلّ الأزمنة فيجتمع فيه الجاهليّ والإسلاميّ ومن عاش في الدّنيا ومن خلد في الآخرة.

☆**الشخصيات:**

- خضعت لفعل التّخيّل إذ عمد المعرّي إلى إعادة خلقها في عالم الحكاية:

❖ فحوّل ملامحها : الأعشى"**صار عشاه حورا معروفا وانحناء ظهره قواما موصوفا**" وتوفيق السّوداء "**صارت أنصع من الكافور**".

❖ أنطق الحيوان : أسد القاصرة،الحيّة التي راودته عن نفسه وكذلك النبات"**وتناديه الثمرات...هل لك يا أبا الحسن...هل لك؟**".

☆**الأحداث:** وقد تدخّل الخيال في بنائها فحوّل المعرّي بخياله نصوصا قرآنيّة وأسطوريّة وشعريّة إلى مادّة سرمديّة.

- فخروج ابن القارح إلى النّزهة متخيّل حرفيّا عن قول الأعشى:

ألا ليت شعري متى تخبّ بنا الناقة نحو العذيب فالصّيبون

محقبا زكرة وخبز رقاق وحباقا وقطعة من نون

- وعودته وهو "**يتّكئ على مفرش من السّندس ويأمر الحور العين أن يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من سرر أهل الجنّة...**" متخيّلة عن قوله تعالى"**متّكئين فيها على الأرائك**"(**الكهف31**) وانقلاب الإوز جواريَ وكذلك خروج الجواري من الثّمار قد استوحاه من أساطير ألف ليلة وليلة.

② **العنصر الثّاني: المفاضلة بين الخيال وسيلة لاقتحام عالم الإنسان وبين الخيال وسيلة للنّزوع إلى العالم المطلق:**

أ- الخيال وسيلة لاقتحام عالم الإنسان تفكيرا في شواغله وتشهيرا بمعايبه من ذلك:

☆ **سياسيّا:**

- استغلال النّفوذ (إبراهيم يستغلّ انتماءه إلى أهل البيت لاختراق القانون الذّي انتصب رضوان لتطبيقه: "**يجذب إبراهيم ابن القارح جذبة يحصّله بها في الجنّة**"،

- في تعنيبه للملوك يوم القيامة إدانة للظّلم والتّسلط والجبروت: "**والشّوس الجبابرة من الملوك تجنبهم الزّبانيّة إلى الجحيم**...."وفي المشهد صدى لنقمة المعرّي على ملوك عصره الذّين عاثوا في الأرض فسادا تضرّرت منه البلاد والعباد، إضافة إلى الحكم بالهوى وإحاطة السلطان نفسه بذوي قرباه

☆ **اجتماعيّا:** استعمال الخيال في تصوير مظاهر من التّفاوت الاجتماعيّ(بذخ في الجنّة: القصور المنيفة ومجالس الأنس والمنادمة يقابلها فقر وتعاسة :بيت الحطيئة"**كأنّه حفش أمّة راعية**" ومن خلال تصوير عقد...

☆ **عقائديّا:** صوّر المعرّي بخياله بعض معتقدات عصره منها:

- الغفران ووسائل تحققه: فزهير بن أبي سلمى رأى في ما يرى النّائم حبلا ينزل من السّماء من تمسّك به من النّاس سلم،وعديّ بن زيد نال الغفران لإيمانه بدين سماويّ:"**كنت على دين المسيح**..."،وعبيد نال الغفران بالكلمة الطيّبة:"**أخبرك أنّي دخلت الهاوية وكنت قلت في أيّام الحياة:**

من يسأل النّاس يحرموه وسائل اللّه لا يخيب

وسار هذا البيت في آفاق البلاد فلم يزل ينشد ويخفف عليّ العذاب حتّى أطلقت من القيود والأصفاد، ثمّ تكرّر إلى أن شملتني الرّحمة ببركة ذلك البيت".

- التّوبة : توبة ابن القارح أدخلته الجنّة"**وجدت حسناتي قليلة كأنّها النّفأ في العام الأرمل إلاّ أنّ التّوبة في آخرها كأنّها مصباح أبيل رفع لسالك السّبيل**".

☆ **أدبيّا وفكريّا:** أدان أبو العلاء في رحلة الغفران كذب الشّعراء وتذمّر من إلحاحهم وشهّر بسرقاتهم الأدبيّة(سعي ابن القارح في المحشر إلى التقرّب من رضوان وزفر بقول الشّعر) وصوّر أجواء المجالس الأدبيّة وما ينشأ فيها من خصومات ومشاحنات (الخصومة بين الأعشى والجعديّ) وما يتمّ فيها من تبادل السبّ والشتم وحتّى العنف.

بذلك ركّب أبو العلاء الخيال مطيّة للقصّ ونزع به إلى اقتحام عالم **الإنسان بالتفكير في** مشاغله والتّشهير بمعايبه.

ب- **الخيال وسيلة للنّزوع إلى عالم المطلق**: جعل المعرّي للخيال وظيفة أخرى هي تصوير العالم الآخر وما يثيره من تساؤلات معرفيّة تتعلّق بالبعث وصورته والثّواب ونعيمه(كيف يبعث الإنسان؟ما هي خصائص الجنّة؟هل يُباح فيها كلّ ما كان محرّما في الدنيا على قياس الخمرة؟) والعقاب وعذابه(كيف يعذّب إبليس بالنّار وهو من نار؟)... وهذه المشاغل المعرفيّة الماورائيّة شغلت تأملات المعرّي وملكت عليه فكره في فترة العزلة التّي كتب فيها رسالة الغفران،وهو لا يبحث فيها باعتبارها جانبا من عالم النّاس بل باعتبارها قضايا معرفيّة تثير اهتمامه لاتّصالها بمصيره ومصير كلّ النّاس بعد الموت.

إبداء الرأي

1- يمكن تقديم الخيال وسيلة لاقتحام عالم النّاس على الخيال وسيلة للنّزوع إلى عالم المطلق لـ:

- عدم اقتصار الخيال على النّزوع إلى العالم المطلق وشموله لجوانب من عالم الإنسان.
- تضافر الخيال مع وسائل القصّ الأخرى لانعقاد القصّ على النّقد السياسي والاجتماعيّ والأدبيّ.
- قوّة سلطة"عالم النّاس" قيما وسلوكا ومشاغل في بناء عالم القصّ المتخيّل رغم ما يميّز ملامحه من عجائبيّة.

كما يمكن تغليب "**الخيال وسيلة للنّزوع إلى العالم المطلق**" على"**الخيال وسيلة لاقتحام عالم النّاس**" لأهميّة هذه القضايا في فكر أبي العلاء وأدبه خاصّة أنّه خصّص لها حيزا هامّا في اللّزوميات،كما يمكنه أن يساوي بينهما شريطة أن يرجع في رأيه إلى حجج بيّنة.

2- كما يمكن أن نناقش القول أيضا بإثارة البعد الذّاتي في قسم الرّحلة من الرسالة وفيه
+ أنّ للخيال كان وسيلة للتّعويض عن الحرمان،فحقّق المعرّي في جنّته ما حرمه في الدّنيا
+ أنّ المعرّي وظّف الخيال لإبراز قدرته في مجالي الأدب والفكر.

***الخاتمة:**

1- التأكيد على ما تولّد عن الخيال من متعة فنّية أدبيّة.

2- التأكيد على أنّ قيمة الخيال في رحلة الغفران تعود إلى المتعة الفنيّة والجرأة في نقد الإنسان والشجاعة في طرح قضايا غيبيّة إنسانيّة قديمة متجدّدة ، وقد يكون للخيال أيضا بعد ذاتيّ ونفسيّ .

نصّ الموضوع : تفنّن أبو العلاء في رسم شخصيّة ابن القارح وهو يقوم بالرحلة الأخرويّة، فأضحكنا عليه وأثار شفقتنا على الإنسان من خلاله.
حلّل هذا القول وبيّن مدى صحّته بالاستناد إلى قسم الرّحلة من رسالة الغفران.

التّخطيط

المقدّمة : لئن تعدّدت الشخوص في رحلة الغفران وتنوّعت فإنّ شخصيّة ابن القارح ظلّت الأبرز إذ رسمه أبو العلاء رسما فنيّا دقيقا في وضعيات متعدّدة ومواقف مختلفة، أثارت ضحك المتقبّل عليه وهو يقوم بالرّحلة الأخرويّة وأثارت شفقته على الإنسان الذّي تدهوّرت قيمته.

فكيف تجلّت صورة ابن القارح كما رسمها المعرّي؟ وما هي مظاهر الإضحاك في الرّحلة وما صلة الإضحاك بالشفقة؟ وإلى أيّ مدى يمكن التسليم بما جاء في القول؟

الجوهر

I - الرسم من أجل الإضحاك:

أوجد أبو العلاء لبطله ابن القارح وضعيات قصصيّة متعددّة:

1) فوصفه نفسيّا : في أوضاع كثيرة :

★ بأن تلاعب بعواطفه فنقله من وضع المنجد لأستاذه أبي عليّ الفارسي يوم الحشر إلى المضطرب وقد أضاع صكّ التّوبة:"**فأظهرت الوله والجزع...**"

★بتأخير ظهور الشّاهد على توبته يوم الحشر، إذ لم يظهر الشّاهد إلاّ بعد النّداء الثالث، إمعانا من الرّاوي في الهزء بالبطل، يقول ابن القارح واصفا حاله تلك " **فأظهرت الوله والجزع، وأخذني الهلع والقلّ...**" والغاية من الإضحاك الهزء بابن القارح هذا الشّيخ الطّاعن في السّن الذّي أضاع أهمّ ما لديه وهو صكّ التّوبة بفضوله وتظاهره بالعلم وهو يفصل بين شيخه أبي عليّ الفارسي والشّعراء.

★من ذلك تصويره وقد جزع من دعوة عدّي بن زيد العبادي إيّاه إلى رحلة صيد، وقد خاف ركوب الخيل والسّقوط،مؤكّدا أنّه رجل علم وأدب لا رجل فروسيّة وحرب، **فأثبت لنفسه ما يشينها**(الأدب) وسلبها ما يزّينها(الفروسيّة) :" **إنّما أنا صاحب قلم وسَلَمٍ**

ولم أكن صاحب خيل ولا ممّن يسحب طويل الذّيل ..ويجوز أن يقذفني السّابح على صخور زمرّد فيكسر لي عضدا أو ساقا فأصير ضحكة في أهل الجنان "

★تصويره في مشهد كاريكاتوري قائم على المفارقة بين الواجب (الأمن والطمأنينة) والحاصل(الخوف والفزع) وقد هرب من وجه حيّة راودته عن نفسها ودعته إلى ترّشف رضابها قائلا:" **كيف يركن إلى حيّة شرفها السّم** ".

2) **كما تفنّن أبو العلاء في رسم ابن القارح أخلاقيّا**: فصوّره في صورة:

- المتودّد / المتملّق: وبدا في تنقّله يوم الحشر بين شخصيات أخرويّة(زفر ورضوان) ودنيويّة (حمزة وعليّ وفاطمة والعترة) يتودّد إليهم ويمدحهم،ورغم صدّ بعضهم له فإنّه لا ييأس ولا يستحي بل يعيد الكرّة ،وسيلته الشّعر واستدرار العطف والشفقة" **وأنا ضعيف منين...**"

- الفضولي الملحاح: ما انفكّ ابن القارح يطوف أرجاء العالم الآخر يجلد كلّ من صادفهم بسياط أسئلته منّغصا على من كان في الجنّة متعته ومضاعفا من عذاب أهل النّا ،وهو ما عرّضه لمواقف حرجة،يقول له أوس بن حجر :" **قد بلغني أنّ نابغة بني ذبيان في الجنّة ،فاسأله عمّا بدا لك فلعلّه يخبرك**،" -

عديم الصّبر: بأن أقام الرّاوي مقابلة بين القول والفعل فوجدنا ابن القارح حافظا مستشهدا به " ذكرت الآية﴿ تعرج الملائكة والرّوح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة،فاصبر صبرا جميلا ﴾**لكنّه لا يعمل به بل يخالفه" فطال عليّ الظمأ...**".

- متصاب شهوانيّ: متهافت على الملذّات(كثرة عقد المآدب في الجنّة واختلاؤه بحوريتين يترّشف رضابهما ، وتسلّله مع إحدى الجواري بين كثبان العنبر للاختلاء بها)

- متشّف شموت: تَشّفى في الأخطل وإبليس، وهو دليل على تجذّر الشرّ فيه.

3) **التفنّن في رسم ابن القارح أدبيّا**:

أ- بتصوّره يوم الحشر يعجز عن الارتجال فيسطو على قصيدتي امرئ القيس ولبيد وينتحلهما ويحرّفهما ليمدح بهما رضوان وزفر.

ب- السخريّة من فهم ابن القارح للشّعر ووظيفته باعتباره وسيلة تكسّب وارتزاق وقد اعترف بذلك لإبليس قائلا:"**كانت صناعتي الأدب،أتقرّب به إلى الملوك والسادات.**

من ذلك أيضا تهجين إبليس لما عدّه ابن القارح عامل تبجّح واعتزاز بقوله " بئس الصناعة إنّها تهب غفّة من العيش لا يتّسع بها العيال".

حوصلة العنصر الأوّل: تضمّن رسم شخصيّة ابن القارح جوانب متعددّة منها ما هو رسم نفسيّ أو ذهنيّ أو جسميّ أو أدبيّ، وهو في جميع الحالات يهدف إلى وضعه في مواقف حرجة تخلق في المتقبّل الإضحاك والسخريّة.

II- رسم شخصيّة ابن القارح بهذا الشّكل كان بغاية إثارة شفقة المتقبّل على الإنسان: لقد توسّل أبو العلاء بشخصية ابن القارح لنقد الإنسان عموما في عدوله عن مكارم الأخلاق وسديد القيم فنقد من خلاله:

- انقلاب القيم في مجتمع تراجعت فيه الكفاءة لصالح المحسوبيّة والوساطات، لذلك وجدنا أغلب من دخل الجنّة، دخلها لا لفعله الطيّب أو لأخلاقه الحميدة بل بواسطة (الأعشى/ المدح) (زهير/الكلمة الطيّبة) (ابن القارح / العترة).
- تفشيّ ظاهرة المجون ومجالس الأنس والمنادمة وما فيها من مأكل ومشرب وطرب وجنس نتيجة ضعف الوازع الديني وطغيان الشّهوة.
- تفشيّ ظاهرة النّفاق منها التّظاهر بالورع والتّدين ومخالفة ما أمر به اللّه فابن القارح يتلو الآية" **فاصبر صبرا جميلا**" ثمّ سرعان ما يخالفها فيتعجّل دخول الجنّة.

حوصلة: ازدوجت الغاية من رسم شخصيّة ابن القارح فهي لإضحاك والنقد ،جعلت القارئ يضحك من ابن القارح وسلوكه ضحكا ، ممزوجا بالشفقة على الإنسان وأخلاقه في ذلك العصر.

الخاتمة: لقد كان ابن القارح بطل الرّحلة الرئيسي ولم تكن الشخصيّات الأخرى إلاّ جوانب من شخصيته لذلك ركّز الراوي على وصفه بمختلف أبعاده النفسيّة والذّهنيّة والأخلاقيّة بغاية كشفه للقارئ دافعا إيّاه إلى الضحك وإلى النّقد والتّفحص، بهدف القضاء على الأدواء الاجتماعية المتفشّية في عصره والتّي "جمعها في شخص ابن القارح والتأسيس لمجتمع منشود ، وقد توّسل إلى كلّ ذلك بالضحك **ولكنّه ضحك كالبكاء.**

المصادر والمراجع

المصادر

- التوحيدي، أبو حيّان، الإمتاع والمؤانسة
- المعرّي أبو العلاء، رسالة الغفران، تحقيق وشرح عائشة عبد الرّحمان بنت الشّاطئ
- المعرّي أبو العلاء، اللّزوميّات، دار صادر 1961

المراجع

- اسماعيل عز الدين، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط 5، 1973
- بن رمضان، صالح: المعرّي ورسالة الغفران، حدود المجاوزة ومجاوزة الحدود، دار اليمامة للنّشر والتّوزيع 1992
- حسين طه : تجديد ذكرى أبي العلاء . دار المعارف . الطّبعة التّاسعة .
- زكريا إبراهيم ، أبو حيّان التّوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب 1974
- العقّاد عبّاس محمود: جحا الضّاحك المضحك . دار الكتاب العربي بيروت 1969
  مطالعات في الكتب و الحياة . دار الفكر 1978 .
- مراصي محمد : أبو العلاء حائرا و ثائرا . دار التقدّم 1980 .
- مندور محمد : في الميزان الجديد . مؤسّسات بن عبد الله ط 1/ 1988 .
- الواد حسين : البنية القصصيّة في رسالة الغفران . الدار العربيّة للكتاب 1975

- **الدوريّات:**

- فصول عدد 1 سنة 1994 .
- الحياة الثّقافيّة عدد 95 ماي 1998 .

الفهرس

القسم النظري

الباب الأوّل : تحليل رسالة ابن القارح..... 9

الباب الثّاني : تقديم رسالة الغفران 11

الباب الثّالث : الخيال في رسالة الغفران 15

الباب الرّابع : الإضحاك وتقنياته 25

الباب الخامس : السّخرية وأبعادها 29

الباب السّادس : البنية القصصيّة..... 40

- **الإطاران الزّماني المكاني** 55
- **الشّخصيّات والعلاقات بينها**. 42
- **الحادثة** 46
- **الأدوات الرّوائية** 47
- **الإيهام** 53

الباب السّابع ، رسالة الغفران بين التّفكّك وإحكام البناء

تجلّيات التّفكّك..... 55

مظاهر إحكام البناء..... 58

القسم التطبيقي

التّطبيق الأوّل : تحليل نصّ: جنّ العفاريت 65

التّطبيق الثّاني : تحليل نصّ: من الخنساء إلى إبليس..... 72

التّطبيق الثّالث : تحليل نصّ:مع الأخطل التغلبي 77

التّطبيق الرّابع : مقال عن التسلية والمتعة 84

التّطبيق الخامس : مقال : قول المسعدي في أبي العلاء 89

التّطبيق السادس: مقال عن الطرافة في رحلة الغفران..... 92

التّطبيق السابع: مقال عن الهزل والنّقد في رسالة الغفران 95

التّطبيق الثّامن : مقال عن القصّ والجرأة..... 99

التّطبيق التّاسع : مقال عن الخيال والنقد..... 104

التّطبيق العاشر : مقال عن شخصية ابن القارح..... 108

المصادر والمراجع 111

ثقافتي الأدبيّة

سلسلة ثقافتي الفلسفيّة

شمس للنشر

I.S.B.N : 978-9973-062-77-2

9 789973 062772

الثمن: 4.000 دت